Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبناء الجن

مذكرات عن الأكراد ووطنهم

تأليف
الدكتورة مارغريت كان

ترجمة
نورا شيخ بكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبناء الجن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الطبع محفوظة
للناشر
الغلاف : سعيد الحسيني
الخطوط : دلبرين
مطبعة الخلود ٢٢٤٢٧١
دمشق

GIFTS OF 2001

FRIENDS OF BIBLIOTHECA
ALEXANDRINA ASSOCIATION
IN NORWAY

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
هذه النسخة هدية

أبناء الجن

مذكرات عن الاكراد ووطنهم

تأليف
الدكتورة مارغريت كان

ترجمة
نورا شيخ بكر

التدقيق اللغوي
الاستاذ دحام عبد الفتاح

ك/ ٨٢٤٨

إهـــداء

- إلى احمد من أجل كل شيء
- إلى أمير لنبضة الاخوي الجارف
- إلى ابناء الجن

اهدي هذه المساهمة المتواضعة

نورا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استهلال

ان كردستان التي تمتد ضمن حدود ايران، العراق ،تركيا والاتحاد السوفياتي ،تشكل أمة بدون لغة رسمية وبدون حدود أو علم ،ولكن كردستان قد وجدت منذ قرون كوطن روحي وجغرافي للملايين.

يشكل الشعب الكردى قومية عرقية ،حيث بقيت لغته المتميزة وثقافته حية على الرغم من الاضطهاد الوحشي الذى كانت تمارسه الدول المعتدية . وعلى نحو مغاير عن شعوب أخرى في الشرق الاوسط ، الاكراد هم مسلمون سنيون مخلصون ،ترتدى نساؤهم الالبسة ذات الالوان البراقة ويظهرن سافرات الوجوه . انهم مدافعون جبارون عن الاستقلال الكردي،وهم مضيفون يحسنون الضيافة وجيران لطفاء.

عندما سافرت مارغريت كان الى كردستان سنة ١٩٧٤ لدراسة اللغة الكردية ، اتخذت هي وزوجها من تعليم الانكليزية عملا لهما في ريزاى . وهي مدينة تقع في الشمال الغربي من البلاد. وبما ان الكردية كانت محرمة قانونيا في ايران ،فان مهمة م. كان تحولت الى متاهة محبطة من المبادرات المزيفة والصمت المريب عندما حاولت أن تقيم علاقة مع الاكراد . وببطء وهي تحطم حواجز اللغة والعادات والسياسة ، اكتشفت م.ك كردستان وشعبها المتشبث بقوة بتراثه وكذلك بحلمه الحي أبدا في الاستقلال.

وخلافا للنساء التركيات والفارسيات في مدينة ريزاى رحبت نساء كردستان بحماس بالموءلفة . ان ألبستهن ذات الالوان القوس قزحية الصاخبة بالمقارنة مع العباءات السود الخشنة لنساء مسلمات آخريات وطبعهن العملي يتناقض مع تكلف النساء الايرانيات المتمدنات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان م . كان ، وهي واحدة من النساء الغربيات القليلات اللواتي كتبن عن الاكراد ، تزودنا بنظرة رائعة عن دور النساء كعضوات في مجالس الحريم وكممونات بالغذاء في قرى ذات أصالة . ترسم مارغريت كان لوحة حية للاكراد من أصولهم التاريخية ، حتى الصراعات المعاصرة الموروثة في العلم التطبيقي ونزعات مساواة تحرر المرأة ، والحياة المدنية .

والكتاب المعنون بأبناء الجن الذي أتى في زمانه ومكانه المناسبين يوضح كيف يعيش شعب مضطهد ، لايقهر في احدى أكثر المناطق المتفجرة في العالم .

منحت مارغريت كان شهادة دكتوراه سنة ١٩٧٦ ، بعد أن كتبت اطروحتها عن اللغة الكردية . علمت الانكليزية واللغويات في جامعات عدة في الولايات المتحدة وكذلك في ايران ومصر ، وهي مؤلفة " مدخل عن الاكراد " في موسوعة هافرد للمجموعات العرقية الامريكية . وتقطن السيدة م. كان في كاليفورنيا مع زوجها وابنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة المؤلفة

منذ قرون خلت ، ألقى النبي سليمان خمسمائة • من الارواح السحرية التي تدعى الجن خارج مملكته ونفاهم الى جبال زاغروس • انطلق هوءلاء الجن في البداية الى اوربا لاختيار خمسمائه من العذراوات الجميلات كعرائس لهم ، ومن ثم ذهبوا للاستقرار فيما عرف بعد ذلك بكردستان •

هذه فقط واحدة من الاساطير التي تحاول تفسير كيف أن أناسا ذوي بشره ناعمه ، وشعر أشقر معروفون بعلاقاتهم الوحشيه غير المحتمله ، وبعد اوانهم قد أتوا ليعيشوا في الجبال الواقعة على نحو منفرج على الحدود التي تفصل بين ايران ، العراق ، تركيا والاتحاد السوفياتي في الوقت الحاضر • لغتهم شبيهه بالفارسية ومن بعيد تمت بصلة الى الانكليزيه وكذلك بالنسبة لاغلبية الالسن الاوربية • ان الاكراد ولكونهم منغلقين في جبالهم لم يتزاوجوا من العرب والاتراك كما فعلوا مع الفرس • ربما لهذا السبب يبدو بعض الاكراد كالأيرلنديين أوحتى كالسويديين أوربما تكون مورثات تلك العذراوات الاوربيات التي أحضرها الجن قديما •

مضيت في بحثي عن الاكراد ـ لأنهم بالنسبة لي ـ يمثلون مغامرة بعيده عن الوطن وقضية عادلة أوءمن بها • كانت لدي تذكره طائرة وعمل ينتظرني في ايران • ولكن كردستان وليست ايران كانت غايتي • لاتوجد خرائط عدا تلك التي رسمها الاكراد و اصدقاوءهم تدرس كردستان ، وطن الأكراد ، لاتوجد اشارات تدل على الطريق ، لامكتب للسياح ، ولامرشد ون سياحيون • هناك البوليس السري الذي سيوجهك بسرعة وبقوة الى الاتجاه المعاكس لكن كردستان هي مكان حقيقي ، لها حدودها ومدنها ولها لغتها ، فكردستان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هي كامارات سحرية في ضباب الجبال غير الكثيف لها طريقة في الظهور والاختفاء ، فهي تكشف نفسها للغربية ومن ثم وبشكل محبط تنغلق على نفسها في وجهها .

ان الكثير من الامريكيين والايرانيين وجدوا صعوبة في فهم سبب اتخاذي القرار لدراسة الكردية ، فليس فيها كسب مادي ولا مجال لتعليم اللغة والأدب بها كما بالنسبة للفرنسية او العربية وفي الحقيقة لايوجد الكثير من الادب الكردي المدون . واللغه الكردية بالنسبة للكثيرين من الايرانيين والاتراك والعرب ليست لغه حقيقية فهم يعتبرونها مجرد لهجه ريفيه خرقاء يتداولها الأميون وأنها غير جديره باهتمام دارسة تعتبر نفسها باحثة حقيقيه .

أما الاكراد أنفسهم فلم تكن لديهم صعوبة في فهم اختياري للغتهم . فبالنسبة لأناس يقاتلون من أجل حياتهم ،وللسيادة على أرضهم ، تعتبر لغتهم الام شيئا عزيزا جدا عليهم . ليس كل الاكراد شقرا وذوي ملامح اوربية ، فبعضهم يشبه العرب ،وليس كل الأكراد يرتدون سراويلهم التقليديه الفضفاضه أو الالبسة المتعددة الالوان ، فبعضهم يعمل في المدينة وأخرون يحضرون الجامعات بألبسة غربية الطراز . ولكن الى حد الان فكل الاكراد تقريبا المتعلمون وغير المتعلمين ، الشقر او السمر ، القاطنون في تركيا ، ايران ، العراق ، أو الاتحاد السوفياتي جميعهم يتحدثون الكردية . وفقط في بضعة من العقود الأخيرة المعاصرة ، نجحت الحكومات الثلاث في الانتقاص من هذه العلامة الاخيرة والاكثر أهمية بالنسبة للهوية الكرديه .

ان طريقة اللباس والحلي والحرف اليدويه ستصبح أسلوبا متبعا في ايران بالطريقة نفسها التي سادت فيها الثقافة الامريكية الهندية في أمريكا في الوقت الذي لن يعد يشكل فيه الشعب القبلي تهديدا للثقافة المهيمنه . وكلما حدث هذا بعجلة أكبر شعر الايرانيون بارتياح أكبر نحو هؤلاء الذين يريدون دراسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكردية . لكني لم ارد أن انتظر حتى ذلك الوقت ، وأملي هو أن ذلك الوقت لن يأتي ولا بشكل من الاشكال .

كان الاكراد قد استقروا في جبالهم لوقت طويل قبل أن يتربع شاه الفرس على عرشه الطاووسي أو أن يبني أعمدة (أوزيماندياس) في (برسيبوليس) . وقبل ولادة النبي محمد (ص) بوقت طويل اعتنق الاكراد العقيدة الزرادشتية مميزين كلا من الله الشر واله الخير ، بانين لهما معابد النار ، ومقيمين طقوس النوروز " اليوم الجديد " في يوم الاعتدال الربيعي .

عندما قدم العرب أذعن أغلبية الأكراد مثل أغلبية شعوب الشرق الأوسط للاسلام . وقد أعطى الأكراد للاسلام واحدا من أعظم المدافعين عنه ـ صلاح الدين الايوبي ـ حيث قاتل ريتشارد قلب الاسد والصليبيين لاستعادة القدس " اورشليم " سنة ١١٨٧ . وقد كان صلاح الدين مخلصا للزمن الذي عاش فيه ، فقد قاتل الصليبيين دفاعا عن الاسلام وليس عن الأكراد ضد العرب .

تبدلت الازمان ثانية ، وفي سياق الامبراطوريات الاسلامية العظمى بحث الاكراد عن هويتهم الخاصة . كان صلاح الدين منهم ولكنه أعطاهم القليل . وفي ظل تلك الظروف أرادوا الخلاص من ضرائب العثمانيين المرهقة ، وأرادوا التعرف على ثقافتهم ولغتهم قبل أن يقهروا من قبل العربية الكلية الوجود . ولكن المثاليين فقط مثل الشاعر الكردي العظيم أحمد خاني ، طالبوا بمثل هذه الامور في تلك الايام المبكرة .

ان أغلبية القواد الأكراد كانوا يقبعون في جبالهم ، ومثل الاسياد الاسكتلنديين يقاتلون أعداءهم من الأكراد ، ناسين كليا قضية وحدة الأكراد .

والآن لقد اعيق الاكراد ـ مثل أسلافهم الجان ـ ليس في القمقم ، بل في جبالهم . لقد حرموا من الكثير من مكاسب القرن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العشرين باقين رعاة فقراء ومزارعين يرعون ويعملون في أرض صعبه بأساليب وادوات أجدادهم . ولم ترأية حكومة آنه من المناسب أن تحسن أراضيهم هذه ومثلما كان حال سليمان مع جانه ، تخاف هذه الحكومات من الاكراد ،تخاف مما قد يفعلونه مع حصة وافرة من نتاجات البترول التي تكمن تحت أرض كردستان ، تخاف مما قديطالبون به لو عرفوا كيفية القراءة والكتابة وكانت لهم الحرية في التكلم بلغتهم الأم واصرارهم على حقهم في أن يسفوا أكراد. والأكراد منذ القدم يشغلون بعضا من أقسى وأصعب الاراضي في المنطقة ، ولكن العراقيين قد نجحوا في ابعادهم خطوة اخرى الى الصحراوات الحارقة في الجنوب . أما ايران وتركيا فقد اعتمدتا على أساليب نفسيه للسيطرة على الاكراد ، وهم معرضون ضمن حدود هذين البلدين لخطر دائم للابعاد ، ليس الى الجبال هذه المرة ،بل ليكونوا غير أكرادا ولخطر تجريدهم من لغتهم وحتى من لباسهم الخاص .

كان الأكراد في العقود الثلاثة الاخيرة ، قد أغرواووعدوا ونكثت الوعود من قبل الانكليز والروس والامريكان . لقد سمحوا لأنفسهم بأن يكونوا بيادق في لعبة الشطرنج الشرق أوسطية العظمى آملين في الحصول على الحكم الذاتي لأنفسهم كأكراد . فكل قوة عظمى كانت تعدهم بالحرية عندما تتفرغ من مشاغلها وفي كل مرة ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يقاتلون بشجاعة وشرف فقدكانوا يخذلون في قتالهم . وما من دولة ـ وبغض النظر عما وعدت الأكراد به لحظة قرارها استخدامهم لمصلحتها ـ سمحت لهم بأن يقاتلوا من أجل أنفسهم ومن أجل حلمهم القومي . وفي الوقت الحالي ، وفي الربع الاخير من القرن العشرين ، وبوفاق الامريكان والسوفييت مع الانظمه في طهران وبغداد ، وأنقره هناك القليل من الاهتمام بالاكراد وبمطالبهم .

. ان النضال من أجل حق تقرير المصير الكردي ظل متنقلا من تركيا في بداية القرن العشرين الى العراق سنة ١٩٣٠ و ١٩٤٠ ،والى ايران سنة ١٩٤٦ وثانية الى العراق سنة ١٩٧٥ ويعود ثانية الآن وأخيرا الى ايران .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان الأكراد المقيمين في هذه الدول الثلاث وكذلك المقيمين في سوريا والاتحاد السوفيتي يزيد عددهم عن سكان الدانمارك، والنرويج والسويد مجتمعين . ومع ذلك ولاسباب تاريخيه ولانفساماتهم القبلية لم يحفظ الاكراد حقهم آبدا . وفي كل مرة يظهر فيها انه لم يعد لهم أمل فان الأكراد يثورون المرة تلو الاخرى . وكل حكومة من الحكومات المعنيه تقبض على الاكراد فبصة مميته وعندما تضعف تلك القبضه ولو قليلا فان الأكراد يستعدون للقتال . وكما يقول الاكراد " كردستان يان نمان " كردستان أو الموت .

وما يتبع في كتابي هذا هو سرد لقصة بحثي عن كردستان ايران السبعينات ، ايران الشاه وبوليسه السري . عندما عدت في زيارة اخرى سنه ١٩٧٨ ، كانت كردستان واضحه اكثر ، الى حد ما ، لأني عرفت أين ابحث عنها وكذلك لان قوة الشاه كانت قد ضعفت والان وقد أطيح بالشاه ، لا أحد يعرف بالضبط ماذا سيحدث في ايران خاصة في تلك الزاوية العاصفة في الشمال الغربي ،حيث تقع كردستان . ومرة أخرى وكما في أوقات كثيرة خلت ، يقاتل الأكراد من أجل الاعتراف بهم ومن أجل حياتهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء الاول

خارج كردستان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الاول

ان لباس المرأة في ايران وخاصة لباسها الخارجي هو صومعتها ، هو مأواها ، انه تركيبه تخبر العالم أن المرأة في خارج بيتها ليست آمنة ، وأن أمنها الفعلي هو في بيتها الذي تنتمي اليه . والكلمة المرادفه للعباءة هي " الشادر " وحرفيا تعني الخيمة ، والفرق بين أن تكون المرأة بعباءة أو بدونها يمكن أن تعني الفرق بين أن يتحرش بها الرجال أو أن تهمل من قبلهم في الشارع . ان المرأة المغطاة بحجابها والمتحرش بها بطريقة ما ، لها الحق في أن تثور لأنها قد افترضت مظهر الفضيلة بلباسها والمظاهر في ايران هي أهم بكثير مما يكمن في الداخل وفي جوهر الأشياء .

عندما وصلت الى ايران لأول مرة أحاطت بي مجموعة من السيدات من ذوات الخيم السود وهن يتهامسن ويحدقن في ، متلهفات لفرصه ليتفحصن فيها امرأة أجنبية عارية تقريبا . وكرد على تصرفهن هذا ، أمعنت التحديق فيهن أنا أيضا ؛ واندهشت لروعية الكميات الهائلة من مستحضرات التجميل على وجوههن المكشوفة وملامح من أجسادهن من خلال مخاولاتهن المطردة والضرورية للاحتفاظ بالخيام المنزلقة حول جسد كل واحدة منهن . وعلى الرغم من أن النساء الايرانيات قد بدأن بالتحرر من عباءاتهن شيئا فشيئا ، ويذهبن الى العمل والمدرسة ويمشين ولو بصعوبة في الشارع سافرات الوجوه ، فان العباءة تشكل الغطاء التقليدي للمرأة الفارسية منذ قرون عدة . وبعيدا عن طهران لبضعة كيلومترات فقط الى الشمال الغربي ، وجدت مجموعه كبيرة من النساء لم يرتدين العباءات ، نساء لا تزال تعني لهن كلمة العباءة خيمة فقط ، وهي قطعة ثقيلة من الصوف المنزلي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصنع التي تحتم عليهن تحمل مشقة حملها عند سفوح الجبال عندما تتحرك القبيلة صوب الربوع الصيفيه . ومن السخرية أن هؤلاء النساء يرتدين ملابس أكثرا احتشاما بكثير مما ترتديه العديد من النساء الفارسيات العصريات تحت عباءاتهن . ان لباس المرأة الكردية وبمقاييس غربية هو أشبه مايكون بالحصن ، حيث يتألف من طبقة فوق أخرى مع سراويل ثقيلة وقميص داخلي ، وعدة أثواب ، وسترات ثقيلة وصداره ووشاح آو وشاحين حتى في أيام الصيف الحارة .

ايران تشعرني دائما بأني مكشوفه . ففي زيارتي الثانية وأنا جالسه في احدى محطات خطوط الحافلات في طهران كان العرق يسيل مني وأنا أرتدي سترة ذات أكمام طويلة وقبعه ضيقة مرتفعة تحت ثوب قطني ثقيل . ووشاحا كبيرا قد ستر كل شعري ومع كل هذا فقد كان الناس لايزالون يشددون النظر الي .

من السهل ،في الولايات المتحدة ، أن تسخر من مجرد فكرة الغطاء ، وأن تقول : أنه لابأس للنساء المكرهات من قبل أزواجهن أو آبائهن بصورة رسمية لشعور هؤلاء بالعيب . ولكن بما أنك في ايران تتجشم عناء التحديق بك ،فانك تتشوق الى غطاء او الى آي شيء يجنبك نظرات الاخرين والى التحديق بحصانة ، لا أن يحدق فيك الآخرون .

بينما كنت أنا وزوجي جيرد جالسين ننتظر الحافلة لتعلن عن الرحيل ، رأينا رجلا كرديا يمشي باتجاه المنضده داخل حجرة الانتظار . ولو انه كان ايرانيا . أوتركيا ، أو أرمنيا ، أو آشوريا ، أويهوديا أو عربيا لربما لم يكن بامكاننا أن نخمن زيه الموروث ، على الأقل ليس قبل أن يفتح فمه ويتكلم بلغه متميزة ولكن الأكراد هم على الاغلب ، مميزون دائما في ايران . والحال هو كذلك مع الأمريكان ، على الرغم من حقيقة ان ايران هي أمم من الأعراب وذات هيئات جسدية مختلفه تتدرج بين عرب ذوي بشرة سمراء الى أكراد ذوي شعر أحمر وأغلب الايرانيين حذقون في تمييز الغربيين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الأكراد فلهم حكاية أخرى ، انهم أمة من بضع مجموعات قومية باقية ترتدي لباسها التقليدي . وبلغة قريبة من الفارسية يقدر الاكراد على الاندماج أكثر من الاتراك الذين يسخر منهم بسبب نبرتهم الفارسية ولكن الكثيرين من الاتراك لايهتمون على وجه خاص بالاندماج .

حدقت أنا وجيرد باعجاب صامت في ذلك الرجل الكردي عندما خطا بعيدا عن المنضدة بارزا في سرواله الازرق الصوفي الفضفاض وسترة متناسقة مع السروال ، وعمامة ملفوفة حول قلنسوة مطرزة ضيقة .

شعرنا بقليل من خيبة الامل عندما عدنا الحافة ،لعدم وجود أتراك فيها . وفي ليلة طويلة متعبة قضيناها وعيون المسافرين متوجهة الى خارج النوافذ ، لم يشغلني شيئا عن الانسياق في تداعياتي فقد حلمت طوال سنتين بالعودة الى كردستان . ومع ذلك فقد ترددت عندما حان الوقت لذلك ، ووجدت نفسي مرتاحة في الشرق الاوسط . ماذا عن محاولات الاخلال بالأمن ، التي كانت تحدث في كل انحاء البلاد ، ومنذ الشتاء الاخير ؟ . ماذا عن الحقد الذي يحمله الكثيرون من الايرانيين للحضور الامريكي في بلدهم ؟ ،ومع كل العنف الايراني المبرر لم أحتج الى أن أمعن النظر في أسباب شخصية اخرى تتعلق بمسألة تخوفي . وحالما بدأت الحافلة بالسير متسلقة الهضبة ، بدأت الذكريات القديمة والشكوك تزحف الى ذهني .

منذ أربع سنوات خلت ، وبعد مرور قرابة ستة أشهر على زواجي أقنعت زوجي على كره منه بالمجيء الى مدينة صغيرة تدعى ريزاي قريبة من الحدود حيث تلتقي ايران بكل من العراق وتركيا. يقطن خمسة عشر مليونا في تلك الجبال الحدودية والمناطق المحيطة بها وجميعهم يتحدثون بلهجة أو بأخرى من اللغة الكردية . كنت قد ذهبت خصيصا لدراسة لغتهم ولكني اخبرت الحكومة الايرانية أني قد اتيت لتعليم اللغة الانكليزية في كلية محلية . لم يُشجع الاجانب أبدا على أن يقضوا وقتا مع أقليات متفجرة مثل الاكراد ، وفي فترة اقامتي كانت قد اندلعت حرب اخرى ضمن السلسلة الطويلة من الحروب على الحدود العراقية مباشرة . كان من الممكن دراسة لغة يمكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بلوغها بسهولة أكثر مثل الاسبانية أوالعربية أو حتى الصينية ، لغات لاتتطلب ذرائع للاتصال بالناس الذين يتداولونها ، لغات تستخدمها حكومات رسمية ، مفضلة إياها على تلك التي يستخدمها الهاربون ليلا في اجتماعاتهم الثورية .

نظرت خارج نافذة الحافلة والظلام ينسدل فوق المناظر الطبيعية حيث تهب فيه الرياح الناشطة ، والعشب الاخضر يتموج بين الفينسة والاخرى الى جانب شجيرات أحنتها الريح ، عروق نابتة في الصخور. مالذي أعادني الى هذه الارض القاسية الغامضة ؟ ، هل " البيريز والديفز " التي يقابلها عندنا الجنيات والشياطين هي التي نسجت لي تعويذه ، موازنة بذلك بين الخوف وروعة الاشياء وبين القهر والفرح ؟ ، عندما غادرت ايران منذ ثلاث سنوات خلت ، أفعم رأسي خلال سنة واخذة بعدها بالذكريات التي تبعث على النشوة والحيوية ، سنة لاتزال حتى الآن تقاوم بعناد كي لاتوءسر في سطور ورقة ما أوحتى في محادثة لطيفة . هل أحببت ايران ؟ ، كان هذا سوءالا معقولا تماما وقد أصبح متوقعا من شفاه العائلة والاصدقاء والمعارف الايرانيين القاطنين في الولايات المتحدة بعد عودتنا . ولم يتوقع أحد أكثر من جواب لطيف وهو أحببناها كثيرا أو كانت صعبة قليلا . وقد فوجيء أغلب الناس بمعاناتنا الفكرية عندما كنا نحاول أن نعبر عن شعورنا . لقد كان مشهد الذكريات المتغير والمختلف الالوان ـ البصرية والعاطفية حيويا جدا تقريبا . كنت أتلهف للتحدث عن تجربة عيشي في ايران ضمن مفاهيم عامة متدفقة لأكون مفهوما عن هذه التجربة غير المريحة، لأقرر مرة ولتكن الأخيرة : هل أحببت ايران أم كرهتها ؟ .

أشار كثير من الناس الى أن الجو النفسي السائد في ايران هو جو من جنون الاضطهاد والارتياب والعظمة . ومن المحتمل أن يفترض كل شخص تعرفه في وقت ما أوآخر انك انت أو أحد معارفك من الذين بدأت تشق بهم هم من عناصر البوليس السري . انه لشيء مثير للاعصاب أن تشعر أن الناس ـ من الممكن ـ أنهم يهزوءون بك ، فهم يدعونك الى منازلهم ويخبرونك أنهم مهتمون بك جدا لمجرد أنه واجب اجتماعي والمفروض عليهم أن يوءدوه ،وهم ربما يحتقرونك في داخلهم في الوقت نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من بين مجموع الناس الذين التقيت بهم تلك السنة في ايـــران تكونت لدي ثقة بالأكراد . وهم الوحيدون الذين بدا لي أنهم يثقـــون بي . ومع ذلك فان غياب ثلاث سنين زعزع ثقتي تلك ، على الرغم مـــن أني لم أكتب رسالة واحدة الا وتلقيت عليها جوابا . والآن وقـــد تطبعت بسلوك الايرانيين فيما يتعلق بالثقة في معناها الظاهـــري ، تساءلت في نفسي لماذا وثقوا بي على الرغم من كل شيء . لقد ذهبت الى هناك والثورة الكردية في أوجها ، حرب كان من المفترض أن يخوضها الاكراد العراقيون فقط ، ولكنها جعلت الامل يضطرم من جديد في نفوس الاكراد في كل مكان .

لدى عودتي الى ايران تأكدت من شيء كنت قد شككت فيه من قبل وهو تورط أمريكا الممقوت ، والواسع الانتشار في تلك الحرب . فقـــد تأكد لي بعد ذلك أكثر من أولئك الذين بدأ أنهم كانوا يعركونه .

عندما غادرت ايران في المرة الاولى ، بعد مرور خمسة أشـــهر على انهيار الثورة الكردية في العراق كان الاكراد الايرانيين لايزالون يلقون باللائمة على الشاه لخيانته اخوانهم العراقيين وقد بدا عـــدد قليل فقط من الاكراد العراقيين واعين لدور المخابرات المركزيـــة الامريكية الذي لعبته في خيانة مصالح الأكراد . ماذا لو حزم أصدقائي — ولو على نحو متأخر وبعد كل شيء — أنني كنت جاسوسة ؟ ، بأي ضـــرب من الترحيب كانوا سيستقبلونني عندما أعود ؟

عندما كنت في كردستان كنت أشعر مع الرجال الأكراد براحـــة اكثر مما لو كنت مع رجال آخرين من أي فئة أخرى في المنطقة . ومع ذلك فقد كانت تحدث صدامات مخيفة مع الرجال الأكراد في القرى الجبليـــة النائية والمدن التركية الحدودية الصغيرة الواقعة بين الغرباء . كـــان جيبرد معي هذه المرة كما كان في معظم رحلاتي . ان وجود الاسلحة في قرية كردية ، سيجعل ابتغاء النجاح لزوج أمريكي متعب في مهمته أمرا ملحا . حدقت خارج النافذة مرة أخرى للاطمئنان فقط ، فرأيت ومضات من النـــور تلوح من بعيد . ففي ايران القليلة السكان تكون الأصقاع الواقعة بيـــن المدن ، خالية على الأغلب وقد كانت الجبال لقرون عديدة ، مـــأوى لقطاع الطرق وحتى الوقت الحاضر ، في العقود الأخيرة من القرن العشـــرين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتساءل عمن يمكن أن يختبىء هناك ، منتظرا حافلتنا لتمربه .

في داخل الحافله ،راقبت امرأة جالسة في المقعد الأمامي وهي تلف رأسها ، والجزء العلوي من جسدها بعباءتها استعدادا للنوم . ومرة ثانية شعرت أنني مكشوفة وبدون مأوى .والقرى التي كنا ننوي البقاء فيها ليست بعيدة عن المدينة الا ببضعة كيلومترات ،ولكن هذه الكيلومترات غالبا ما تكون متعرجةحيث تلتف عبر الجبال فوق طرق ترابية . وليس في القرى طاقة كهربائية ولاهواتف . فليس بمقدورك أن تخطو الى حجرة ما وتتصل بالشرطة اذا أصبت بسوء . أعرف أني كنت أترك مخيلتي تسرح حالا ولكن الشياطين كانت تتملكني .

ـ أنا خائفة .

استطعت أخيرا أن أهمس بذلك عاليا لجيرد .

ـ أفترض أنهم لايريدون روءيتنا مرة أخرى .افترض أنهم يظنوننا مع المخابرات الأمريكية .

أجاب جيرد موءكدا :

ـ أنا لست متأكدا من أنهم لن يريدوا ذلك ،ولكني أثق بحاج اسماعيل فهو صديقنا .

كان الحاج اسماعيل يجيب على رسائلي لمدة سنتين بخطه الرديء وبكتابة فارسية تعلمها بنفسه . لم يتح الرجال الاقطاعيون الوقت الكافي للالتحاق بالتعليم الرسمي في حياتهم المحمومة في الأيام الخوالي. وقد كنت أبذل جهدا أحيانا في فك رموز رسائلهم المكتوبة بالكردية على الرغم من خبرتي الواسعة بالمراسلة ،لأنه لم يكن أحد منهم قد تلقى تعليما في أصول كتابة لغتهم الخاصة وفي مناطق عديدة يفطنها الأكراد تعتبر الكتابة عملا خارجا على القانون . ولكن الحاج اسماعيل كان يكتب على أية حال ، ويرسل تحيات مجموعة من نساء لايجدن الكتابة . لقد قضوا حياتهم في القرى بعيدين عن أية مركز بريد، ولكن المسافة لم تكن هي المشكلة فاغلبهم كانوا أميين .

عندما فكرت بالنساء ، وتذكرت أسمائهن مثل : مريم ذات الشعر الأحمر والعينين الزرقاوين وخديجة ذات العينين البنيتين والأنف الطويل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونسرين بذقنها "المود يجلياني" وشعرها الأسود الفاحم ، شعرت بالطمأنينة تعود الي . حاولت أن أتخيل ماكن يفعلنه خلال فترة الثلاث سنوات التي كنت فيها بعيدة عن ايران . فقد كنت ادون ملاحظاتي المتعلقة باللغة الكردية ،وقدحصلت على درجة علمية ، ودرست وسافرت كثيرا خلال هذه السنوات الثلاث . أما هن فقد كان من المحتمل أنهن بقين في القرية باستثناء بعض الرحلات القصيرة مصطحبات معهن مرافقات الى المدينه حسب هوى الحاج . ربما كان علي أن أذهب بعيدا وأعود لأدرك كيف أن هؤلاء النساء لم يذهبن الى مكان آخر لاخلال فترة الثلاث سنوات من بعدي ولافي غيرها ، لربما خرجن من القرية في أوقات الحرب والهجرة ، أوبسبب الزواج من أكرادمن مناطق أخرى ، هذا بالنسبة للنساء غير المحظوظات منهن .وخلال الشتاء حيث تجعل حرافات الثلج والمواقد النفطية الحياةتعبسه ، كانت مريم وخديجة ونسرين يستيقظن كل يوم ويوءدين أعمالهن . وخلال الربيع كن يتمشين بين القطعان وبجوار الجداء والخراف ذات القوائم الضعيفة . كانت نسرين وخديجة تعملان في كل فصل من فصول السنة في ذلك المطبخ المعتم الممتلىء بالدخان في خلفية المنزل ونحن الآن في فصل الصيف ،فصل الحصاد ، وجني المشمش والخيار من البساتين والحقول . وسيحل فصل الخريف حالا ، وستهطل الأمطارشتائية . وعلى الرغم من صداع الرأس وآلام الأسنان والحيض وغثيان الصباح الذي كان يصيبهن أثناء حملهن فقد كانت هؤلاء النساء ، يشاركن في تموين أهاليهن . ان تحملهن وثباتهن هذا جعلني أطمئن في غماربحثي الفجري لتحقيق الذات . ماكان عليهن أن يتبعن مايرغبن به ، فقد كان السبيل قد مهد أمامهن منذ قرون خلت .

قررت البقاء في جناح الحريم وارتداء ملابسهن . ولدى خروجي في نزهات الى السهل ومنه الى الجبال سيظن بي على أني امرأة كردية . لقد كان من الصعب تمييزي بشعري البني وبشرتي الشقراء عن الكرديات وبقدر اقتحامي واديا من جنون الاضطهاد والارتياب والعظمة ، وجدت نفسي أحلق ثانية في مخيلتي الى جمالية كوني سيدة كردية .

انقطعت تأملاتي عند هبوط الليل ، وفي الساعة الحادية عشرة لدى توقف الحافلة في الاستراحة الأولى ، واندفعنا الىحجرة مزخرفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مضاءة وممتلئة بمسافرين متعبين، يلتهمون من أمامهم كميات كبيرة من الأرز المسمن . لقد كانت معدتي مضطربة بسبب حركة الحافلة والشيء الوحيد الذى أحسست به هو أني استطعت الجلوس لألتقط من وقت لآخر شيئا من طبق " الشالي كباب" الأرز المطبوخ مع اللحم الذى أمر جيرد باحضاره أما شهية جيرد فقد كانت في حالة سوية .

بعدئذ قفلنا راجعين ووقفنا خارج الحافلة نتحدث مع مسافرين آخرين . كانت واحدة منهم امرأة عجوزا ، قالت انها عملت في السفارة الأمريكية في طهران ولكنها لم تكن تعرف التحدث بالانكليزية قط. حتى أن لغتها الفارسية كانت ذات نبرة ثقيلة بسبب من لغتها التركية الآزرية الأم. لمّح الينا زوج المرأة ذات الحجاب الجالسة في المقعد الأمامي أن ريزاى ليست بالمكان المناسب لنا لنقوم بزيارته ونصحنا قائلا: على الأجانب أن يبقوا في طهران. أدركت أنه كان يريد التودد الينا وأخبرنا أنه قد درس في فلوريدا ويتمنى الذهاب الى كاليفورنيا حالا لاتمام دراسته. حالما صعدنا الحافلة تساءلت بصمت فيما اذا كانت زوجته معتادة على ارتداء الحجاب ، أم أنها قد ارتدته خصيصا لهذه الرحلة لمدينة ريزاى المتخلفة .

اندفعت بنا الحافلة بعناد على طول الطريق العام وقد أعيق تقدمها فقط بالتفتيش الدوري في كل ساعة من قبل شرطة الطريق العام فقد كانوا ينظرون الى السرعة المرسومة بيانيا على ورقة الأسطوانة الموضوعة خلف مقياس السرعة للتأكد من أن السائق لم يتجاوز حدود السرعة المناسبة. وقد ابقتني المواقف المستمرة يقظة. ولكني سلمت بصحة انخفاض عدد الحوادث منذ أن فرضت دورية الطريق العام النظام الصارم .

بعد برهة بدأنا نتقدم على طول الشاطىء الشمالي الغربي من بحيرة ريزاي الشبيهة بشكل معين ، وهي بحيرة ضخمة ميتة مالحة تقع شرق سلسلة جبال زاغروس الواقعة الى الشمال الغربي من ايران . فتحت عيني عند انبلاج الفجر وحدقت عبر البقاع المالحة حتى البحيرة الضاربة في الزرقة . ولكن بحيرة ريزاى أصبحت ملجئي المفضل منذ بدأت بالتجديف لساعات على سطحها أغمس الخيار في الماء المالح وأقضمه على مهل بصوت مسموع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدأنا بالتدريج نرى علامات تدل على أن المنطقة مأهولة ،مثل بعض القرى التي يمكن لها أن تصبح يوما ما ضواحي ريزاي الحقيقية . ولدى تقدمنا صوب المدينة نفسها لاحت لنا خضره في أرجاء عديدة وهي دلالات أكيدة على وجود كائنات بشرية في هذا السهل المقفر . عبرنا مصنع سكر الشمندر ومن ثم الطريق الجانبية المؤدية الى المطار . وأخيرا وجدنا أنفسنا في الساحة الدائرية مع تمثال والد الشاه ، رضا ، الذي أعيد تسمية المدينة بريزاي نسبة لاسمه .

دمدمت الحافلة هابطة بنا الى شارع عريض ، وعندما شعرت بدنو الجبال ذهبت عني شياطين وجنيات الليلة الفائتة ، وعند الفجر شعرنا فقط بقليل من الغربة المنهكة . كانت ريزاي صغيرة جدا ، وقد استوقفتنا هذه المفاجأة كلينا . عندما كنا نقيم هناك كانت بالنسبة لنا عالمنا كله ، عالما من الألوان الخضراء والرمادية والبنية الى جانب زرقة البحيرة . تقع المدينة على بعد ساعة واحدة من طهران. وهي مكان لم يشجع الاجانب ، أو الايرانيين المدنيين على الذهاب اليها بسبب صغرها ، على الرغم من كونها المدينة الكبرى في منطقة أزربيجان الغربية .

عندما أحسست بأن أيقاعات جسدي مرتبطة للأبد باهتزازات الحافلة ، عند ذلك فقط شارفت الرحلة على الانتهاء . كان أحد سائقي سيارات الأجرة قد استيقظ مبكرا ليلتقي بالحافلة وقد بدا مبتهجا على طريقته التركية الخشنه عند لقائه فجأة بأجنبيين . كنت أخشى ألا أجد أحدا في منزل الحاج اسماعيل ، وقد انتظرت في السيارة مع السائق ، بينما ذهب جيرد ليدق الجرس . لم تكن واجهة المنزل بقرميده الأصفر وقضبانه الحديدية المطلية بالأزرق في كل نوافذ الطابق الأول قد تغيرت . ولكني لمحت زجاجا مكسرا وطبقة كثيفة من الغبار خلف القضبان ، فشعرت لوهلة بالخوف . لماذا ترك الحاج اسماعيل بيته يبدو وكأنه مهجور ؟

بحيوية مدهشة وإفق سائق التاكسي على أن يمضي بنا عبر الجبال . فمن المألوف أن سائقي سيارات الأجرة يفضلون أن يتركوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفولغات الروسية الشبيهة بالدبابة أن تتدبر أمر سيرها عبر الجبال .

في غضون هذه الفترة كانت الشمس قد أشرقت ولكن الشارع الطويل المشجّر كان خاليا من المارة عندما أسرعنا هابطين برويبة مارين بالكلية التي عملنا فيها حتى بلغنا نهاية الاسفلت . في قرية باند حيث تنتشر المنازل فوق جبل يشرف على واد أخضر خصب . ان باند هي قرية بالأصل ، ولكنها تتحول الى ملجأ لفئة السائقين في ريزاي .

هبط السائق مبطئا في سيرة عندما ارتطمت سيارته بطريق حصوي منحدر . ها نحن الآن نتبع النبع الصافي الذي يتدفق من الجبال هابطا نحو سهل مرگا وار خلال ممر باند ، وعبر سهل آخر متوجها الى البحيرة . وقد أدهشني اخضرار الجبال الى يسارنا وامتلاء النبع الى يميننا . فقد كان هذا شهر تموز وقد مرت أشهر على موسم الامطار . وفي شهر تموز في السنة التي مكثنا فيها في كردستان كان الجفاف قد جعل السهل ظمئا وذا لون بني داكن .

ارتفعت الجبال فوق روءوسنا مباشرة خارج سهل ميرگاوار الدائري العريض . والى الاسفل من رقع الثلج كانت قرية دستان تقبع مثل زمردة فوق رقعة خضراء مائلة للصفرة من الخضرة الجافة . وقد أخبرتنا الاهرامات العالية من القش ، المكومة على طول الطريق عند مدخل القرية بأن الحصادة كانت تعمل قبل قليل من الزمن . ولدتجنب الجدول المتعرج عبر دستان ، اتبع السائق توجيهاتنا الى المنزل الحجري ذي الطابق الوحيد ، منزل مريم خانم زوجة الحاج اسماعيل الثانية . لم يبد أحد في تلك النواحي و شعرت بالغرابة لذلك ، فبعد أن قطعت هذه المسافة الطويلة وما أحد يرحب بي أوحتى يلاحظني . ومع ذلك فان رغبتي في أن يلحظني أحد ماتعزى فقط الى شعوري النامي بأني لم أبتعدحقيقة كل هذه المسافة أبدا . لم يكن أي شيء غريبا علي ، المدينة ، وادي باند ، النهر ، الجبال ، كلها كانت كما كنا قد تركناها ولربما أكثر اخضرارا ولكنها من الممكن أن تكون كذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأن شهر أيار لايزال قائما والسهل لايزال يتشرب من الثلج المذاب . من الممكن أن النوم كان قد أخذنا في هذه المدينة الصغيرة القابعة في حضن الجبال . أولربما أننا قد استيقظنا لنتونا وتذكرنا أن لنا موعدا لمقابلة الحاج اسماعيل في دستان .

قبل ذهابي الى كردستان للمرة الاولى ، وحتى قبل أن اقرر الذهاب ، مضيت في ما يقارب نصف دزينة من الرحلات الفكرية الى هناك برفقة مجموعة تقريبا كلها من المغامرين البريطانيين في غزواتهم لكردستان الموحشة . حيث صورت وبجلاء ، المشقات البدنية التي عانى منها الموءلفون والخوف من قطاع الطرق في هذه الأصقاع . والشيء الأكثر امتاعا لي كان اندهاش الرجال الغربيين لتمتع المرأة الكردية بحرية نسبية . فبعد مجالس الحريم والاغطية السوداء التي لقوها في المدن الفارسية والعربية لم يقووا على الاقتناع بمنظر نساء كرديات بغير خمار يعشن ويعملن جنبا الى جنب مع رجالهن .

كان من الصعب عليّ تتبع الكتب وهي تصف الحملات العسكرية المملة أو تسهب في التفاصيل عن جغرافية منطقة لم استطع تخيلها . ومع ذلك فقد نجحت في أشياء عدة . لقد كان الاكراد مثل الفرس زرادشتيين قبل أن يعتنقوا الاسلام في القرن السابع الميلادي .

واذا أخذنا بعين الاعتبار التربة الجبلية الفقيرة والتي لن يثير استغرابنا ترحل الأكراد وعلى نحو تقليدي من مكان لآخر ، يرعون قطعانهم وسوائمهم في المكان الذي يعثرون فيه على الكلأ . وقد تبقيهم الشتاءات الجبلية القاسية في الاحواض الجبلية خلال فصل الثلج وعلى قمم الجبال عندما تصبح السهول حارة قائظة في الصيف .

لم أقرأ هذه الاوصاف عن الرحلات الكردية بالترتيب الذي كتبت فيه بل كنت أقرأها ، كلما وجدتها في الزوايا المغبرة في المكاتب الفخمة . عندما قرأت مجموعة الكتب والاسفار الكاملة عنهم ، لاحظت اختلافا مدهشا ، لافتا للنظر بين كردستان ١٨٧٠ وكردستان ١٩٧٥ ، اسلوب الحياة لم يتغير عمليا ، واللباس والعادات كانت كما هي منذ قرون قبل أن يصفها الغربيون . أن جغرافية المنطقة هي التي قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تغيرت ، فكردستان القرن التاسع عشر العظمى قد قسمت الى أجزاء وأقسام من العائلات والقبائل التي وجدت نفسها في التخوم غير الصالحة وكانت هذه دائمة الانقسامات .

على الرغم من أن أجزاء من كردستان قد حكمها في أوقات مختلفة شيوخ قبائل وأمراء أكراد ، فان كردستان لم تتوحد فعليا أبدا . أن الاكراد أنفسهم يرجعون سلسلة نسبهم الى الميديين تلك السلالة الايرانية الحاكمة الممعنة في القدم والتي غزت نينوى في ٦١٢ ق.م ، ثم هم أنفسهم غزوا من قبل الفرس سنة ٥٥٠ ق.م ومنذ ما يقارب ٦٠٠ ق.م فما فوق فان المساحة التي تسمى بكردستان حاليا كانت قد غزيت بالتتابع من قبل السلوقيين ، البارثيين، الساسانيين، الأرمن، والروم والبيزنطيين والسلاجقة والمنغوليين والعثمانيين، وغيرهم وعندما كانت تضعف هذه الحكومات الاستعمارية أو يزول كيانها ، كان الأكراد سريعين في حكم أنفسهم . لكن مع قدوم الجيوش الحديثة والحكومات القوية للسيطرة عليهم أصبح الحكم الذاتي الكردي أقل احتمالا . وفي سنة ١٥١٤ ثبت تقسيم كردستان بين الامبراطورية الفارسية والعثمانية . ولكن الحدود الجبلية المرتفعة في كلا الامبراطوريتين اللتين لم تكونا تملكان تجهيزات عسكرية حديثة ، لم تكن واضحة بعد في الحياة اليومية للأكراد العاديين . وقد حثت الهجرات حسب الفصول يتبعها العشائر مناطق الرعي أكثر من أن تكون أوامر من الحكومات المركزية . لقد كان المغامرون البريطانيون في القرن التاسع عشر محظوظين، وان كان عليهم أن يقاتلوا قطاع الطرق ، فقد كان بامكانهم التجوال في كردستان دون أن يعيقهم حرس الحدود .

بعد الحرب العالمية الاولى وانحلال هاتين الامبراطوريتين وعد الاكراد الذين كانوا تحت الحكم العثماني بدولتهم المستقلة من قبل الحلفاء . وفي وقت مبكر من القرن التاسع عشر كان قد اجتمع بعض الاكراد المنوّرين مثل الشيخ عبيد الله النهري ـ وقد التقيت بأحد أحفاده لاحقا ـ بالحكومات الأوروبية للتحرر من ضغط الأتراك كممثلين عن الأكراد . وبعد الحرب العالمية الثانية انطلق الأكراد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في دعواهم لانشاء دولة كردية على أسس بنود ولسون الأربعة عشر التي أعلنها في كانون الثاني سنة ١٩١٨ . فقد عرض ولسون اقتراحا يوجب اعطاء الفرصة للاقليات العرقية الكبيرة داخل الامبراطورية التركية مثيل الأكراد والأرمن والآشوريين لاقامة دولهم الخاصة بهم ، ولكن معاهدة سيفر الموقعة سنة ١٩٢٠ بين الحلفاء والحكومة التركية الألعوبة ، تكفلت باقامة دولة كردية خلال سنة من تاريخه ولكنها لم تترجم عمليا أبدا . فقد رفضها القوميون الأتراك الجدد بقيادة مصطفى كمال أتاتورك . أما اتفاقية السلام الجديدة - معاهدة لوزان - التي وقعت سنة ١٩٢٣ فلم تذكر الأكراد مطلقا .

وبدلا من أن يصبح للأكراد دولتهم الخاصة بهم ، وجدوا حريتهم الثقافية والسياسية تتقلص أكثر من أي وقت آخر . أما الاراضي الكردية الواقعة تحت نير تركيا ، تلك الجمهورية الحديثة التي تزعمها أتاتورك ، فلن تدعي بكردستان مرة أخرى وسيدعى السكان " بأتراك الجبال " وستحرم قانونيا تلك اللغة التي يتكلمها ربع سكان تركيا . التقيت في ايران بعدد لايحصى من الاشخاص وأحفادهم الذين فروا نتيجة لقمع أتاتورك الوحشي للثورات الكردية في تركيا الشرقية . أما الأكراد في الدولة العراقية الحديثة فلم يصابوا بهذا السوء أبدا . ولم يكن لهم سيطرة على البترول الكامن في أراضيهم ، فالبريطانيون قد عملوا جاهدين للتأكيد على أن يبقى في أيدي العرب . ولكنهم على الاقل تمتعوا بالتحدث بلغتهم القومية ، وبارتداء لباسهم الوطني . يشكل الاكراد نسبة كبيرة في العراق وبسبب ذلك ، ولضعف الحكومات البغدادية المتتالية فقد كانوا قادرين على اشعال عدد من الثورات التي لم تنتهي بهزيمة حقيقية ، بل انتهت في مأزق . لم يكن الأكراد الايرانيون محظوظين بهذا القدر . لقد كانت لهم سنة واحدة مجيدة ، أسسوا فيها دولة كردية صغيرة جنوب ريزاي سنة ١٩٤٦ في نهاية الحرب العالمية الثانية . وعندما تحرك الجيش الروسي الذي كان يحتل على نحو مهلهل القسم الكبير من شمال غرب ايران للانسحاب ، تاركا الدولة الكردية الفتية بدون حماية ، دخل الجيش الايراني مهاباد وهي المركز القيادي للجمهورية الجديدة ، وأعدم القواد ، ولوحق كل من دارت حوله الشكوك بتعاطفه معهم لثلاثة من العقود التالية .وأصبح الأكراد - دون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكومة ذات حكم ذاتي ـ مجرد احدى الأقليات العرقية المتعددة في ايران .

ان المصادر الرسمية غير الجديرة بالثقة والرديئة السمعة في كل الاحصائيات السكانية تكون متذبذبة وعلى نحو خاص عندما يتعلق الموضوع بالأكراد في كل دولة حديثة يقطنونها الآن . لقدكانت العراق ولسنوات تحاول أن تثبت أن حقل البترول الضخم في كركوك لايقع حقيقة في مركز سكاني كردي . أما الاتراك فلا يحصون الاكراد عندهم نظرا لعدم اعترافهم بوجودهم كأكراد .وايران تكره أن تقدم تقريرا دقيقا عن قوة أي من أقلياتها المستاءة وحتى لوجرت محاولة من قبل أي من تلك الحكومات لاحراز احصاء رسمي دقيق في كردستان ، فان الاكراد سيقاومونها اعتقادا منهم أنها من المحتمل لن تفيدهم . ان الأكراد ليسوا أحرارا في كتابة وتداول لغتهم في أي بلد باستثناء العراق والاتحاد السوفياتي الذي يشكل فيه الأكراد أقلية صغيرة .

ان افتتاني بهذا الشعب لم يتطلب مني جهدا كبيرا في البحث والمطالعة . فقد عرف عن الأكراد موقفهم الأكثر تسامحا تجاه المرأة أكثر من أي مجموعة اسلامية في المنطقة . لقد كنت أبحث عن لغة ما واللغة الكردية كانت تصرخ عاليا لباحث يدرسها .وبمشروع كهذا لن ادع همتي تفتر بالاقتصار على المكتبات ،و بحوث الجامعات المملة . ويتوجب علي الذهاب الى الجبال كي أكتسب ثقة هوءلاء النساء ذوات الأثواب الملونه ، واللواتي لايغطين الخمار .

ان طهران محطتنا الأولى ،لم تكن كما توقعتها بالضبط ، ولكنها كانت تتراءى فقط على نحو مبهم تحت الطبقة الكثيفة من الدخان والضباب اللذين كانا يتخللان جو المدينة برتابة . لم نلاحظ أي من الأكراد فيها ولم يتناهى الى سمعنا أن أحدا يتحدث فيها بالكردية فقد كان من العجب سماع أي شيء يعلو صوت حركة المرور ، وقد تجولنا فيها لبضعة أيام في مشاهة محاولين أن نتصور اذا كنا حقا في ايران ، بلاد فارس عمر الخيام الاسطورية وحكايات الجن الغريبة . لقد كنا قد حلقنا ما يربوا على ٦٠٠٠ ميل شرق نيويورك ولكنها كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتقدمنا بطريقة ما . لقد كان ذلك شعورا غريبا .

أما مدينة ريزاي فقد كانت أفضل ، على الأقل كانت هنالك عربات تجرها الخيول مع أجراسها ، وجبال تخلو من الدخان والضباب وكان أيضا هنالك أكراد يظهرون في كل شارع . حتى في ريزاي الريفية كان الناس يرتدون ألبسة غربية أو صورة مطابقة لها باستثناء الأكراد. لم أكن متحمسة لمحاولة الذهاب الى هؤلاء الأكراد والتحدث معهم بكرديتي الجزلة التي تعلمتها في الجامعات الامريكية ولكني لم أتوقع أنها ستكون مسألة أيام أو اسبوع قبل أن ألتقي ببعض الأكراد واتحدث معهم باطراد .

سألت كل طلبتي في الصفوف الانكليزية في الكلية المحلية عن الأماكن التي أتوا منها واللغات التي يجيدونها ، وقد ظننت أنني حاذقة ، ولم يمر وقت طويل قبل أن يعرف كل طالب أن للسيدةم . كان رغبة غريبة في دراسة الكردية . والعدد القليل من الطلبة الأكراد أتوا الي تواقين لذلك . ولم يكن أحد منهم من منطقة ريزاي ، كما لم يتكلم أحد منهم اللهجة التي كنت أهتم بها .وفوق ذلك فانهم لم يبدوا كالأكراد . لقد نشؤوا في المدن أكثر ممافي القرى ، وكانوا يرتدون البذلات ـ بذلات الدنيم ـ اذا كانت لهم القدرة على شرائها . أرادو أن يحصلوا على درجات جيدة في الانكليزية ولكنهم كانوا يرتابون بشدة بدوافعي ، وقد ابتهجت لانني لم أكن أنوي دراسة لهجتهم .

في استعادة أحداث الماضي وتأملي فيها تحققت من أن لا أحد منهم كان سيوافق على قضاء الكثير من الوقت معي خارج الصف ليعلمني لغة قد حظرتها الحكومة الايرانية . وكما اكتشفت موخرافلقد كانوا متأكدين ـ من وجهة نظرهم ـ من أني من عناصر المخابرات المركزية الأمريكية .

لم ينتابني شعور باليأس مباشرة فقد كانت لدي أمور أخرى لأقوم بها . فقد وجدنا مسكنا بمساعدة أناس في الكلية وانتقلنا على نحو سريع الى خمس غرف مجردة باستثناء قليل من الأثاث مع شرفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونوافذ ضخمة ممتدة من الارضية حتى السقف ولكنها كانت بدون مدفأة أو ثلاجة أو سخانات أو ستائر . كانت الدار رطبة وجرداء ولكنها كانت مطلية بالكلس ، بحيث أنك لو اتكأت على الحائط فسان ملابسك ستغطى بالمسحوق الابيض . أمضينا معظم وقت فراغنا في البازار القديم وفي مركز المدينة التجاري ، مواجهين ولأول مرة في حياتنا صفقات شراء كبيرة من الحاجات المنزلية . رأينا الكثير من الأكراد في البازار ، وفي البداية لم أكن أميز بين المحليين واللاجئين . كان قد اخبرنا رجل جالس بجانبنا في الطائرة من طهران الى ريزاي أنه قد قدم المساعدة لمعسكرات اللاجئين التي أقيمت في المنطقة لأيواء وتقديم الغذاء لآلاف من الذين فروا من القصف العراقي . ان الثورة القائمة حالياً كانت قد بدأت في الربيع الذي سبق وصولنا الى ايران ، وكانت الحكومة الأيرانية تدعم الاكراد بنشاط ، وتقدم لهم السلاح وتشجعهم على جلب عائلاتهم الى حيث الأمان في ايران . كنت اتشوق للاطلاع على هذه الحرب ، وخاصة عندما اكتشفنا وجود عدد من الخبراء العسكريين الأمريكان ، وقد كانوا يسكنون في ريزاي وكانوا يسافرون على نحو دوري الى الحدود العراقية لاعطاء التعليمات عن استعمال الاسلحة . كانوا يصرون على التأكيد بأنهم يلقنون التعليمات لعناصر في الجيش الايراني ، ولم أضغط عليهم أكثر من ذلك ، فقد كنت مدركة أني لم أحصل على الاذن من الحكومة الايرانية للبحث في اللغة الكردية التي تشكل أهمية أقل بكثير من حرب حدودية سرية .

كانت عائلة كبيرة من اللاجئين تسكن خلف منزلنا مباشرة لقد وصلوا حديثا مثلنا الى ايران وقد كانوا أغراباً في الجوار على نحو يلفت النظر. بدا منزلهم ممتلئا بالنساء والاطفال وقد كان حبل الغسيل المعلق في الشرفة مكسوا بالملابس القوس قزحية وملابس أطفال غربية حديثة الى جانب ألبسة نسائية كردية تقليدية من المخامل والاقمشة المطرزة . كنت أنا وجيزد نحدق بافتتان من نوافذ مطبخنا عبر ساحة المنزل الى حجرة جلوسهم ومن حين لآخر ، كنا نلمحهم وهم يختلسون النظر الينا بالمثل . وفي أحد الايام علقوا الستائر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليحجبوا عنا رؤيتهم وقد واصل بعضنا التحديق في البعض ونحن في الشارع ولكن لاأحد من الجانبين سيبادر بالتحدث أولا .

كنا نرى الاكراد في طريقنا ، في كل مكان نذهب اليه في مركز ريزاي التجاري . كان رجال من الاكراد بعماماتهم المهدبة يتجمعون في زوايا الشوارع أو يجلسون عند النوافذ في المقاهي . كانت النساء الكرديات يتجمهرن في البازار وبعضهن كن يرتدين الاغطية فوق لباسهن . ولكن خلافا للعباءات الفارسية ، كانت هذه الاغطية مجرد زركشات سوداء تكشف عن الالبسة التي دونها ، ونساء أخريات كن يمضين دون حجاب وكن مغطيات فقط بطبقات من الأثواب والصداري وسراويل مصنوعة من المخامل والساتين ، مصبوغة بكل لون يمكن تصوره .

لفتت نظري ساحة منزل مأهولة بسكان أكراد مررت بها في طريقي من والى الكلية . كانت سيارة لاندروفر خضراء رمادية طويلة تقف عادة خارج الأبواب الفيروزية التي تؤدي الى الباحة حيث كنت احدق دوما بشابين متوردي الخدين يصقلان واجهة السيارة أو يحمّلانها بحزم أو يفرغانها . كانا يرتديان سروالين خاكيين مكويين بشكل جيد ، ذلك السروال الكردي ذو الساق الواسعة المجتمع أو غير المجتمع عند الكاحل ، وذلك حسب عادة القبيلة المنتمى اليها . والبذلة كاملة تتضمن وشاحا حول الخصر وعمامة . عندما كانت أبواب الفناء مفتوحة قليلا كنت ألمح أحيانا رجلا ذا وجه نحيل يفع على رأسه عمامة ضخمة سوداء مهدبة . وقد رأيت مرة امرأة قصيرة ممتلئة ترتدي سترة فضفاضة من المخمل القرمزي . كانت ترافقها فتاة شابة جميلة ذات ضفائر طويلة وفكرت في نفسي أنها تشبة بطلة من حكايات الجن .

بينما كان الآخرون في المدينة يحدقون في كأمرأة أجنبية مكشوفة ، كنت أنا الاخرى أحدق في الأكراد . لقد بدوا معتادين على التحديق أكثر مني . ولكن أحد منهم لم يتكلم معي ، أو حتى يجيب على نظراتي الباحثة . وكثيرا ماصرح لي الناس الذين أعرفهم انه يجب أن أتخذ سبيلا واضحا من هؤلاء الناس الجبليين الافظاظ . وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدأ يتكون لدي تصور أني لن أقابل أيا من الاكراد أبدا في ريزاي وقد بلغت درجة تكونت فيها لدي شكوك بأني لم أختر اللغة المناسبة لدراستها . ليس فقط أن كل القاطنين في ريزاي يتكلمون الآزرية التركية فحسب - وهي فرع من التركية تتصل الى حد بعيد بالتركية المتداولة في استنبول بالقدرالذي تتصل فيه الكردية بالفارسية - بل أن شفاههم تزم باحتقار كلما ذكرت الاكراد .

يسيّر الاتراك مدينة ريزاي في خدمة الحكومة المركزية في طهران مثل جميع المدن الايرانية الواقعة الى الشمال والغرب من المدينة الكردية مهاباد على طول شواطىء بحيرة ريزاي . أن اغلبية الموظفين ذوي الرتب العالية هم من الاصقاع الايرانية التي تتحدث بالفارسية ولكن مخفر الشرطة والسلطات المحلية والمدارس والبنوك كلها قد زودت بالمساعدين الاتراك . كانت ريزاي تدعى أورميا ، قبل نهوض سلالة بهلوي الحاكمة في ايران وهو اسم قديم جدا لدرجة انه ما من أحد متأكد من أصله حقيقة . وقد أعيد لريزاي اسمها القديم بعد سقوط محمد رضا بهلوي الذي كان قد اطلق هذا الاسم على المدينة نسبة لأبيه المعقوت جدا . وبالنسبة لبعض الشعوب مثل الآشوريين المسيحيين الذين حكموا هذا الجزء من أذربيجان الغربية فترة من الزمن ، فلم يعترفوا بأن هناك مدينة تدعى ريزاي او بحيرة ريزاي ، بل فقط - مدينة أورميا وبحيرة أورميا - وهؤلاء الآشوريون يتتبعون أنسابهم من بقايا الامبراطورية الآشورية القديمة ، ويبدو أن هؤلاء الآشوريين القاطنين في ريزاي وكذلك يهودها كانوا يسكنون المدينة منذ زمن موغل في القدم.ولكن كلا المجتمعين قد انخفض عددهما الى حد كبير في القرن العشرين . اليهود عبر هجراتهم المتتالية الى اسرائيل والآشوريون خلال المذابح الجماعية . وفي اوآخر القرن التاسع عشر اجتذب الآشوريون في ايران على الحدود العراقية مباشرة مساعدة البعثات التبشيرية الاوربية والامريكية . وفي الحقيقة كانت الكلية التي عملنا فيها في الاصل قد بنيت كمستشفى من قبل الامريكان الذين أتوا لمساعدة المسيحيين الفقراء المتمسكين بعقيدتهم القديمة وسط الهجوم الاسلامي الضاري . وقد أثار هذا الاهتمام من قبل الغربيين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض الشك والغيرة لدى جيرانهم المسلمين ، فكان الآشوريون يذبحون على نحو متتابع وبأعداد كبيرة بأيدي الأتراك والاكراد في بداية القرن العشرين . وبعد ذلك أصبح سهل أورميا يخص الاتراك وحدهم ، على الرغم من الجهود الكردية لنيله ، ولايزال الصراع بين الاكراد والاتراك مستمرا على اورميا . ان طهران التي لاتفيد الاتراك في شيء عدا استخدامها اياهم ضد الأكراد ، تتدخل عندما يكون للأكراد اليد العليا ، كما فعلوا سنة ١٩٤٦ وقد كرروا هذا ثانية بعد سقوط الشاه سنة ١٩٧٩ . ولكن خلال اقامتي في ريزاي ، بدت المعارك الحقيقية كما لو أنها في الماضي . كان الاكراد الذين التقيناهم يفتخرون بقدومهم الى ريزاي منذ عشر سنوات قبل وصولنا وأنهم قد اغلقوا المدينة ردا على غارة تركية على قريةكردية ، ولكن حتى هذا النوع من الحرية المتاحة للجميع قد قمعت بشدة من قبل السلطات الحكومية وبشكل موقت على الاقل . وقد تسرب البوليس السري بسرعة الى المدينة التركية وضواحيها من القرى الكردية .

عندما أتينا في البداية ، لم أقدّر كم كان عدد اللاجئين والقرويين الذين يمرون بسهولة عبر المدينة من ضمن الاكراد الذين رأيتهم ولم أكن أعرف كم يخاف جيراني الاتراك هؤلاء الناس الجبليين العنيفين الذين تحيط قراهم بمدينة الاتراك وكم يحتقرونهم ولأسابيع عديدة حدقت بحزن وكآبة في لباس الأكراد الملائم لحكايات الجن وهم يمرون أمام ناظري في الشوارع ولكن بعد كل ماعرفته عنهم كان من الممكن أن أعود الى امريكا وألاحق صفحات من كتاب ماعن رحلة غامضة .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

في ريزاي لم استخف بما كان يحدث في الشارع أبدا ، فلاشيء مما يحدث في الشارع الايراني يمكن أن يكون شخصيا أو خاصا . في الكثير من الاحيان وجدنا أنا وجيرد نفسينا مع جمهور قد احتشد ليصغي الى محادثاتنا ومجادلاتنا . وعندما كنت أتمشى وحدي كان بعض الرجال يتسكعون على مقربة مني تماما . وفي مكان كهذا فان المنازل تحتاج الى جدران حولها لحمايتها من الشارع . والعباءات " الخيم " هي امتداد لهذه الجدران ليس غير .

لفترة قصيرة سأتأقلم مع الشارع متناسية تقريبا أين كنت ، وبعدئذ سيحدث شيء مايعيدني الى اليقظة ، وسأدرك أني كنت غريبة ، وأني فريسة لكل فضولي وفاسق كان يلاحقني بنظراته . لكن وعلى الرغم من عدم شعوري بالأمان في مركز المدينة او في الاحياء الغريبة فقد أصبحت تدريجيا أثق بالذين يحيطون بي في الوقت الحالي . وبما أننا كنا نقطن على مسافة بعيدة تماما عن الشارع الرئيسي ولأن سيارات الاجرة كانت وسائل نقل جماعي ، مع مسافرين آخرين متوجهين الى أمكنه مختلفة فقد كنت أغادر السيارة عند بداية زقاق أمير فلاح وكان علي أن أمشي كل يوم بمحاذاة الجدار العالي الذي يحيط بمنزل الآنسة أمير فلاح ، ذلك الرجل الغني الذي يشغل منزله المساحة المجاورة كلها . وهناك في الزاوية وتماما عبر البوابات الكبيرة المؤدية الى باحة منزله كان يقف ثلاث أو أربعة شبان بستراتهم الجلدية والجينز المستوردة ، لقد كانوا أولاد رجال أغنياء ،تبدو النظافة عليهم على نحو جلي ، وليس لديهم مايقومون به أفضل من التسكع بعد المدرسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد فترة ليست بطويلة من انتقالنا الى هذا الحي ، اقتنى أحد هؤلاء الصبية بندقية ذات رصاصات صغيرة ، كنت بعد ذلك كلما مررت راقبت البندقية ووجهة تصويبها . كانت هذه البندقية تثير أعصابي حتى بعد أن قابلت والد الصبي الذي يقتنيها . لم أفهم لماذا يحتاج أحد مابندقية في هذا الزقاق الاسفلتي المغبر، فقد كانت الطيور كلها داخل جدران حدائق المنازل . يبدو أنه لايوجد لعبة مثيرة أخرى غير ارباك الناس .

ربما كانت تلك البندقية كناية عن شيء ما ، فالصبي الذي كان يحملها كان قصيرا ونحيلا ، ولكنه ككل الذكور كان يحتاج لاظهار قوته في الشارع . كان بعض الناس يعتبرون الغطاء زيا قديما ومع أن والدة هذا الصبي لم تكن تضع الغطاء ، فقد كان لايزال يحدق في كما لو أنه لم ير من قبل امرأة بدون غطاء أبدا .

عندما كنت امشي بمحاذاة جدران منزل أمير فلاح القرميديه ذات اللون الاصفر كنت أجبر نفسي على إلقاء التحية على صاحب البندقية . وبعدئذ استمر بالمشي لاعرج الى زاوية زقاقنا ، مارة بحذو أعالي أشجار الكرم التي كانت تتدلى على جدران حديقة أمير فلاح . كان زقاقنا يقع في منطقة مبنية حديثا ، لذلك كانت واسعة بحيث تكفي لمرور سيارة وقد كانت معبدة أيضا ، فالكثير من الازقة في ايران هي مجرد ممرات ضيقة مع مجاري صرف مفتوحة تلحق بالمركز .

وجدت نفسي ضجرة من الجدران بعد الاسبوعين الأولين من اقامتي في ريزاي . لقد كانت تمنعني من رؤية المدينة على ماهي عليه ، حتى أثناء ركوبي عاليا في الحافلات ضمن المدينة فلم أستطع رؤية الجانب الآخر من الجدران داخل المنازل والحدائق في ريزاي وكل شيء وكل امرىء مختبىء وراءها . كان لمنزلنا أيضا جدار في مقدمته ولكن بما أن زقاقنا كان قيد البناء فان كل بنائي الآجر الذين يعملون في الطابق الثاني في شقة تبنى في الجانب الآخر من الشارع كان باستطاعتهم التحديق صوب شرفتنا ومن خلال نوافذنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض النساء في ايران يفتخرن لأنهن لم يضعن الغطاء أبدا في حياتهن ، على الاقل كن يظهرن ذلك أمامي . ولكن اذا كن من المسلمات الشيعيات فقد كنت أنزع الى عدم تصديقهن . لأنه لابد أنهن قد وضعن الغطاء ولو في مناسبة ما لكي يقدرن على الدخول الى الجوامع الكبيرة أو المعابد مثل ضريح الامام رضا في مشهد . لن أُراهن على أن أي امرأة قد خرجت مكشوفة فعلا طوال حياتها في ايران عدا المسيحيات واليهوديات أونساء البهائيين الذين يعتبرن الغطاء عيبا . ولكن علي أن أكتشف ذلك ـ هنالك درجات عديدة من الأغطية تتدرج ابتداء من أوشحه رأس بسيطة تربط مسدلة على الجبين بشكل لاتظهر منه أية ملامح جمالية وانتهاء بالعباءة السوداء العراقية الطراز مع غطاء للوجه وأكمام مفتوحة بشكل طولي . والغطاء المألوف في ايران، الحجاب ، ليس الاقطعة رقيقة من القماش ، وعادة تكون بلون قاتم ، وأحيانا بنقوش صغيرة . ان تعديل القماش جيدا في مكانه المناسب له أهمية كبيرة جدا في تقرير قيامه بالوظيفة كخمار ساتر مفاتن التي ترتديه . وكما ترينني الآن فاتنه بزيّي هذا ، فكذلك ستكونين أيضا بدون هذه الاغطية التي تستر مفاتنك .

خلال عهد والد الشاه الاخير ، رضا شاه ، كان الحجاب قد حرم في ايران ومثلما فعل أتاتورك في تركيا فقد أراد الشاه أن يجعل بلده غربيا في ليلة وضحاها . ولكن حيث نجح أتاتورك فشل في ذلك الشاه . فقد ظهر الغطاء ثانية كخمار أقل جدية ولا يشمل الجسم ولكنه كان كلي الوجود . ففي المدن الكبرى والقرى الصغيرة على حد سواء، استمرت أغلبية نساء الفرس والأتراك في استخدام الغطاء على الرغم من تحقيقات رجال الصحافة الغربيين الذين لم يقوموا بها في الاحياء الاكثر فقرا ،يسود الغطاء على نحو فعلي .

ان الأكراد هم من بين المجموعات الاسلامية القليلة في الشرق الاوسط الذين لاترتدي نساؤهم الغطاء على نحو تقليدي . وفي القرى يسكن الناس في الخيام ـ الشوادر ـ عندما يتبعون قطعانهم للرعي في الصيف ، ولايرتدون الشوادر هذه . أما في المدينة فغطاء النساء الكرديات يعتمد على غنى العائلة وعلى درجة الاحتكاك بالمدينة . فأفقر

معارفي مثلا ، وهي امرأة قروية تدعى ملحية ، لم يكن لديها غطاء وعندما أتت ملحية الى ريزاي حيث كان ولدها طالبا في المدرسة الثانوية ، كانت ترفع وشاح رأسها البرتقالي لتغطي حنكها وفمها عندما تكون في الشارع ليس الا . ونساء كرديات أخريات في أنحاء البازار كن يرتدين أثوابهن الفضفاضة ، وأوشحة رؤوسهن كما لو أنهن في القرية ، ولكن نساء أخريات أيسر حالا سكّن معظم حياتهن في المدينة كان غطاؤهن متفقا مع العرف الاجتماعي والذوق العام . وعلى الرغم من طبقات ألبستهن العديدة فالكبرديات قليلات الحاجة لأغطية أخرى ويتحسن من نظرات الرجال الفرس والاتراك المحدقة فيهن . فمن الصعب تماما أن تكوني كردية في مدينة تركية دون أن تظهري مكشوفة .

حقيقة أن الاغطية في كردستان ليست جزءا أساسيا من اللباس النسائي كانت واضحة أيضا من لباس اللاجئين العراقيين . ونساء القرى القبليات في معسكرات حول ريزاي لم يغطين الغطاء أبدا سواء في المعسكرات أو أثناء زياراتهن للمدن ولكن زوجات وبنات الجنرالات وقواد الحزب الديمقراطي الكردي اطلعن حالا على العادات الايرانية . وبعض من النساء العراقيات الأكبر سنا والأكثر تقليدية كن يغطين العباءات التي جلبنها من العراق حيث تلبس النساء العربيات الغطاء بشكل عام . وفي العراق أيضا بدا أن نساء الطبقة العليا من الأكراد المقيمات على نحو دائم في المدينة بين العرب كن يستعملن الغطاء . ولو أنه يختلف عما هو في كردستان ايران فان بنات هؤلاء النسوه كن يحضرن الى المدارس ويطرحن كلا من اللباس الكردي التقليدي والغطاء جانبا وأثناء نفيهن في ايران كانت الواحدة تلو الأخرى منهن تجبر من قبل ذويها على ارتداء الغطاء . لقد كن يفضلنه على العباءة التي كانت تميز مباشرة من قبل أصحاب الدكاكين في ريزاي كعلامة تدل على الغريب .

في حينا المأهول على نحو خاص بسكان أتراك منتمين للطبقتين الوسطى والعليا رأيت القليل من الاغطية ، وفي الحقيقة رأيت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القليل من النساء . وبدلا من ذلك فانك تجد السيارات . فالنساء في هذه الاحياء يقدن السيارات كبديل لارتداء الخمار الذي بطل زيه . والألبسة المفضلة لدى جارتي شهرزاد والسيدة جام كانت تتألف من جزء علوي وهو عبارة عن جورسيه مقور ، بالاضافة الى تنانير أنيقة نادراماكانت تقلل من أهتمام الرجال في الطريق . و فقط ببقائهن في السيارات كانت تلك النسوة قادرات على أن يبقين محتشمات وماضيات على الطراز الحديث في الوقت نفسه . وباستخدامهن سياراتهن كغطاء فقد كن يذهبن من مدخل باب الى آخر ولو الى قطع مايقارب دزينة من المحلات التجارية المتلاصقة وبعدئذ تتوقف سيارتهن ثانية . والسيدة جام الأكبر سنا كانت تخرج فقط لعمل ملح معتمدة على النقود وعلى منزلتها الاجتماعية ، لتجلب الناس الى منزلها . ولم تكن تبرع في قيادة سيارتها المرسيدس ، فقد كانت كثيرة الاصطدام بحواجز الشوارع ، والحواجز الحجرية عند حواف الطرق والجدران وبسيارات أخرى أما شهرزاد فقد كانت تناور بسيارتها اليابانية الصغيرة بشكل أفضل بكثير . وعلى الرغم من اشاعات بذيئة كانت تكثر حول شهرزاد تشير الى أنه كان لها المئات من " الخلان " قبل أن تتزوج وهي في الخامسة عشر من عمرها فقد اخبرتني بأن زوجها هوشنغ يثق بها ثقة مطلقة ، وأنه قد سمح لها بأن تقود سيارتها الى أي مكان تريده.

في المرة الأولى التي رأيت فيها شهرزاد وهي امرأة عامرة الصدر ممتلئة الجسم مفعمة بالصحة على نحو جذاب بعينين تحملان أهدابا كثيفة ، وشعر فاحم ، كانت تقف في ممر منزلها مشيرة الينا بالحاح أن ندخل قائلة :

ـ " بفرمابيد ، بفرمابيد "

وهي الدعوة المختلفة الاغراض حيث تشكل المرتكز " حجر العقد" لحسن الضيافة والوفادة الايرانية .

كنت أميل الى الذهاب مباشرة الى بيتها ولكن الايراني الذي كان معنا رفض دعوتها بلباقه . وبدلا من قبول اعتذاره ألحت أكثر من ذي قبل مشيرة بيدها الى مدخل بيتها المعتم ومتحركه الى الخلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع همسه من شفتيها ، طالبة منا أن نتبعها . رفض الايراني ثانية بأدب ، ولكن باصرار فأومأت شهرزاد برأسها وخرجنا الى الفناء ونظرنا الى الاعلى مرة أخرى ،الى حيث شرفة الطابق الثاني الذي كنا نعتزم اشتئجاره . قال الرجل الايراني وهو مدرس في الكلية :

ـ أنت محظوظة ، جارتك ودودة جدا فقد سألها الموظف المؤجر اذا كانت ستسمح للأمريكان بالسكن في نفس المنزل معها فأخبرته أنها ترحب بذلك . وكما رأيت الان ، فقد أرادت فعلا أن تدخلي الى منزلها .

في غضون الايام الاولى من استقرارنا في مسكننا الجديد كانت شهرزاد تبتسم وتكرر دعوتها لنا في كل وقت تروانا فيه وحالما قدرت على ذلك ، فقد قبلت الدعوة ووجدت نفسي في كرسي منخفض منجد ومريح ، تقدم الي الشاي والحلويات . اديبر مفتاح التلفزيون الموضوع أمامي وقد كنت اتحول بين التحديق في وجه المغنية السمينه المكيج باتقان ومحاولة التحدث مع شهرزاد ، وفي وقت متأخر قابلت هوشنغ زوج شهرزاد وهو رجل نامي العضلات ربع القامة ، وقد ارتدى قميصا وسروالا أنيقين . وكان يتكلم القليل من الانكليزية . وكثيرا ماكانا يخبراننا بأنهما يرحبان بنا أنا وجيرد دائما في منزلهما .

لقد كانت أسابيعنا الاولى في ايران محمومة بكل صعوبات اقامة منزل في أرض أجنبية . وشهرزاد وهو شنغ كانا قلقين بشأن المشاكل التي تصورا أننا نواجهها . فقد سألني هوشنغ عن كيفية ايجادي الوقت لشراء الغذاء واعداد الوجبات نظرا لتواجدنا كلينا طوال الوقت في الكلية ، ولعدم وجود خادمة لدينا ، ابتسمت غير موضحة الموقف وأنا افكر بأن كل ذلك صحيح ، فلم يكن لدينا الوقت الكافي فعلا وكما لو أنه قرأ افكاري ،دعانا هوشنغ مباشرة لتناول جميع وجباتنا معهما . وعندما رأى أن قواشم كراسينا المعدنية كانت تحفر فجوات في الارضية الكلسية اللينة لحجرة جلوسنا الضخمة ، عرض علينا هوشنغ أن يعيرنا بساطين ايرانيين كبيرين مصنوعين آليا . ومؤخرا سألنا هوشنغ متى سنتفرغ لنحل عليه وعلى شهرزاد كضيوف في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النادي الليلي الذي كانا يترددان عليه . نادي ليلي ؟ . لقد قدّرت عرض الوجبات علينا على الرغم من أنها كانت دعوات سخية جدا لقبولها وبسرور أخذت البساطين ولكن هذا العرض الجديد قد ضايقني قليلا فأنا لم آت الى ريزاي لأزور النوادي الليلية . تطوع جيرد قائلا بفظاظة :

ـ مارغريت لاتحب النوادي الليلية كثيرا .

نظر هوشنغ بفضول . فهو لم يتوقع أن يلتقي بأمريكية لاتذهب الى النوادي الليلية . وقال بلطف :

ـ حسنا ، لربما تحب أن تذهب في وقت آخر . رجاء أخبرينا عندما تكونين مستعدة لذلك .

استقرت بنا الاوضاع تدريجيا في الكلية حيث بدأ الدوام في صفوفنا بعد اسبوعين أو ثلاثة ضمن برنامج محدد المواعيد . وقد زود بيتنا بثلاجة ومدفأة وسخانات للشتاء وقطع عديدة وغريبة من الاثاث الذي أعارته لنا الكلية على مضض بعد أن قدمنا عريضة الى عميدها . والآن بما أننا لم نعد بحاجة للتسوق كل يوم بعد العمل فقد اجبرت على ملاحظة شعوري بوحدتي المتنامية . فهذه المسألة لم تكن نتيجة لعدم تصرف الناس معنا سود . ففي الكلية كان كل امرئ يبتسم لنا ويسألنا عن صحتنا باطراد . وكنا دوما نجد أناسا نجلس معهم خلال تناول الغداء في حجرة الطعام التابعة للكلية لكن عند التفكير في ذلك كان يخطر في ذهني أنه من المحتمل أننا لم نكن قد فهمنا نظام التشريف بعد ، وقد كنا نجلس مع كل من نريد . وفي الحقيقة ، وبدون علم منا ارتكبنا زلات اجتماعية كافية لتجعل الايرانيين حولنا أن يطبقوا افواههم بانفعال . ومع ذلك فقد ظللنا نقع في تخبطات أكثر . فلم يخبرنا أحد بأننا ننتقص أنفسنا بركوب حافلة المدينة جنبا الى جنب مع العمال والطلاب . ولم يبوح الينا أحد أنه ليس من الضروري أن نقبل الدعوات التي توجه الينا من اللحظة الاولى . كنا نتحدث مع الناس حولنا بالألفة الميسورة التي يسلم بها الامريكان ، ظانين أننا كنا مهذبين وحساسين بالمقارنة مع بعض الامريكان الآخرين الذين رأيناهم في المدينة . وعلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نحو خاص خبراء الاسلحة التابعين لجيش الولايات المتحدة الذين كانوا يأتون أحيانا لتناول الغذاء في الكلية كضيوف على أستاذ ايراني يدعى السيد خشيني . والشيء الذي لم نكن نفهم كنهه هو أن الايرانيين كانوا يجملوننا جميعا بنظرتهم دون تمييز ، فرقة السلام، الجيش وبحاشة عن الاكراد و الكردية . ولكني كنت أرتاب في افتقار الناس من حولنا للشعور الودي . فلم أكن متأكدة منه على الاطلاق .

في البداية تحدثت عن رغبتي في لقاء الاكراد لأناس كنت أظن أنهم غربيون على نحو كاف لفهم مشروع كهذا . وقد عرفت أن هذا يمكن أن يعتبر حساسا من الناحية السياسية بالنسبة للحكومة . ولكن لم يخطر على بالي أبدا انه يمكن أن يكون حساسا من الناحية الاجتماعية أيضا . وعندما كان يجابه بطلبي واهتمامي الغريبين أعضاء مثقفون من الالمان والامريكان في الكلية ، كانوا يبتسمون بأدب فقط ، ويقولون بأنهم سيبذلون جهدهم ليقدموني الى بعض من - وهنا توقفوا هنيهة وأردفوا قائلين : - من الأكراد .

عندما كان جيرد يعود من الكلية بعد الظهر كان يأخذ سنة من النوم ، أما أنا فقد كنت أنفر من النوم ، لذلك فقد اعتدت على التردد الى الطابق السفلي حيث منزل جيراننا الجعفريين . ولم تتخل شهرزاد أبدا عن ابتسامتها المرحبة ، وطبق الحلويات و تلفزيونها البواق ذي الدوي العالي . تكلمت عن اعتزامها السفر لتعلم الانكليزية للقيام بأي شيء بالاضافة الى العناية بالأطفال . وعلى الرغم من كوننا من نفس العمر بالضبط . فقد تزوجت قبلي بثماني سنوات وكان لديها طفلان . وبما أن لها خادمة متفرغة تدعى نانا ، وأم متفرغة وتسمى مامان ، حيث تعيش مع العائلة وتقضي معظم وقتها في العناية بالأطفال ، فلم أر أن ابنها وابنتها يشكلان عبئا عليها .

كانت شقة شهرزاد صورة طبق الاصل عن طابقنا العلوي حيث كانت قد لفت بطراز ثمين ، فقد بسطت على الارض سجادات من تبريز وكاشان وقد غطيت النوافذ بمخمل متناسب مع الطاقم المطلوب من الكراسي المزخرفة المنجدة بالمخمل حيث كانت الموضة الدارجة في ايران . لم يكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحد يجلس على الارض ، فقد فصلت حجرة الجلوس أو ردهة الضيوف عن حجرة غذاء رسمية بستائر من الأورغنزا موءطرة باتقان وقد أزيحت الى الوراء .

كانت حجرة الطعام بطرازها الازرق الباهت المجلوب من كاشان توحي بمنظر مقامرة من الوزن الثقيل تعقد في نهاية كل اسبوع . كان هوشنغ المتعهد الحكومي يملك الكثير من المال ، بحيث لم يكن يدري ماذا يفعل به . لقد كانت النقود تتكوم لديه ، وقبل ثلاث سنوات ـ على الرغم من عدم امكاننا اعتبارهم فقراء ـ كانوا لايملكون هذه البسط أو هذه الكراسي المصنوعة وفق طلبهم . لم تكن ممتلكاتهم القديمة المكومة في قبو منزلنا مترفة لهذا الحد ، وحاليا ينشىء الجعفريون منزلهم في جزء آخر من المدينة ليتلاءموا مع ثروتهم الجديدة .

كان الجعفريون في بيئة مدينة ريزاي يعتبرون متهتكين فلا أحد يعتبرهم حسني الاسلام . فقد كانوا يقامرون ويعاقرون الخمرة ويرقصون . كانت شهرزاد تعتبر امرأة منحلة ، والشيء الغريب هو أنهم لو كانوا في أمريكا ، لكانوا يعتبرون عاديين ، ولربما حتى مملين ومحتشمين أيضا . لم تكن لدى شهرزاد فرصة للقيام بشؤون أخرى مع كل استهتارها المتحرر من كل قيد . انه لشيء لايتصور أن تقضي وقتا مع أي رجل ليس بزوجها أو قريبها الحميم . أنجبت طفلها الأول في السادسة عشرة ، وتعيش أمها معها الآن وقد كانت تواكد على ارتداء الغطاء حتى انها أحيانا كانت تلبس ابنة شهرزاد ذات الخمس سنوات الغطاء عندما تأخذها الى اجتماعات النساء الدينية .

كثيرا ما أخبرنا الجعفريون عن سعادتهم بجيرتنا ، لقد أحبوا أمريكا ويأملون في زيارتها ، لقد أرادو أن يتكلموا الانكليزية معنا ، ورغبوا أن نريهم آخر صيحات الموضة في الألبسة والرقص وسبل المعيشة . لقد توقعت منهم أن يخبروني عن العادات والتقاليد الايرانية التي استمرت عبر القرون . لقد كانت هذه ايران التي أهتم بها ، وليس ايران ذات السيارات المستورده وحفلات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السكر التي تعج بالكلام المتملق الحسن . ولكني أدركت بالتدريج كم كنا على أهداف مفترقة . لذلك ترددت في الحديث عن مشروعي المتعلق بالأكراد لشهرزاد . ان القدر الذي كانت تعرفه فقط هو أنني قد قطعت مسافة مايقارب نصف محيط الارض ليس الالتعليم الانكليزية في كلية ريفية صغيرة وغامضة . بدا هذا غريبا لها ولم يمر وقت طويل حتى سألتني عن ذلك قائلة :

ـ لماذا تختار أجنبية ، أمريكية أن تعيش في مكان مثل ريزاي ؟ . ماذا يمكن أن أفعل في مكان متخلف مثل هذا ، حيث لا يوجد فيه سوى ناد ليلي واحد فقط ؟ أخذت نفسا عميقا وأخبرتها:

ـ لقد أتيت لأدرس الكردية ، وأريد أن أؤلف كتابا عن قواعد اللغة الكردية :

تظاهرت كما لو أنها لم تسمعني وبدأت تتحدث عن رغبتها في ذهاب ابنها الى مدرسة داخلية في انكلترة ليتعلم التحدث بلغتي بطلاقة سألتها :

ـ ولكن ماذا عن ابنتك ؟ ألاتريدين ارسالها هي أيضا ؟ .

رمقتني شهرزاد بنظرة مشدوهة ، أولا الأكراد والآن هذا .. حتى النساء ذوات المظهر الحديث مثل شهرزاد لايفكرن في أن تكن فتياتهن مستقلات . ماذا سأقول أكثر من هذا ؟ أفضل من أن ارتكب في قول شيء خطأ آخر ، أغلقت فمي بينما استمرت هي في الثرثرة .

واظبت على رؤيتي لشهرزاد ، فقد بدت متشوقة لقضاء وقت معي على الرغم من برنامجها الاجتماعي الممتلىء . كنت أعرف أني لن أتقرب من الاكراد بانفاق الساعات من وقتي دون أن أقوم بجهد وأنا جالسة أمام خزانة تلفزيونها الضخمة أحتسي الشاي وآكل الحلويات ولكني على الاقل كنت أحسّن لغتي الفارسية والشيء الأكثر أهمية اني كنت اتجنب الوحدة في أرض غريبة جدا عني .

كان الأكراد دوما في أعماق ذاكرتي لدى تحدثي مع شهرزاد ربما كانت تعرف بعض الأكراد ولم تكن تخبرني ، وربما عندما نعرف بعضنا أكثر أتمكن من اثارة الموضوع ثانية ، وفي ذلك الحين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاولت أن ازيد ثقتها بي بعدم التحدث عن السياسة أوعن نزعات تحرر المرأة أوعن الاكراد .

لقد تعلمت الحذر ليس مع شهرزاد فقط ، بل مع أي شخص يمكن أن أطلب منه أن يقدمني الى الأكراد . ولكني بدأت أدرك أكثر من ذي قبل أنني لن أقابل الأكراد فقط بمصادفتهم في الشارع . وفي الكلية دأبت على طلب هذا من زملائنا المدرسين والاداريين والطلاب . وذكر الكثيرون انه هناك مدرس كردي بيولوجي في الجامعة من منطقة ريزاي ذهبت الى مكتبه وصافحت رجلا نحيفا مرتديا سروالا أنيقا جدا متناسقا مع قميص أنيق و ربطة عنق حول رقبته . كان لايكاد يتحدث الانكليزية قط بما أنه قد أمضى الخمس سنوات الاخيرة من دراسته في باريس ولكنه أكد لي أن لغته الأم هي اللهجة الكردية التي أهتم بها . وبعد عدة عبارات مهذبة ودعوات متلهفة لزيارة منزله ، ألقاها في مزيج من الانكليزية المتكسرة والفرنسية ، أخبرني أخيرا عن مكان ولادته فهولم يكن خارج المنطقة التي اهتم بها فحسب ، بل حتى أني بدأت أتساءل في نفسي بعد قضاء نصف ساعة في مكتبه اذا كان يقدر على التحدث بأي لغة غير الفرنسية . لم تكن لدى بعد الخبرة الكافية لأدرك أن ربطة عنقه الحريرية وسيارته البيجو الجديدة ذات العلامة التجارية وطريقته المداهنة تنم عن غربة طويلة عن الحياة الريفية وقد بدت عليه خيبة الأمل ، عندما نهضت فجأة لأستاذن بالمغادرة . فسألني :

ـ ولكن ألن تأتي الى منزلي ؟ .

ـ ربما في وقت ما .

قلت ذلك على نحو غامض مندفعة من جو مكتبه المغلق والمعطر .

كنت كل ليلة في مسكننا ، أصغي السمع الى أصوات الكرمانجي. اللهجة التي كنت أنوي دراستها ، المذاعة من محطة راديو ايرانية . لم أكن أستطيع فهم كل الجمل ، ولكني كنت اجلس الى جانب مذياعنا أتمتم بالكلمات التي أميزها . من أين كانت تأتي هذه الاصوات ؟ .لقد كانت الاشارة واضحة تماما بحيث أني أدركت حالا انه من المحتم أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكرمانجية تذاع مباشرة من ريزاي ، ولكن الناس القليلين الذين سألتهم بدوا أنهم لايعرفون الكثير عنها ، لابل أنهم لم يستمعوا الى البرامج الكردية في الراديو أبدا . ولكني واصلت الاستماع اليها ولو أن موجات الصوت كانت واضحة فقط لكنت تتبعتهاحتى مصدرها .

على الرغم من عدم قدرتنا على اللقاء بالأكراد ، فقد كان هنالك أناس آخرون يريدون التعرف علينا . وكان على رأس القائمة اداريودائرة الجيش الامريكي ومغتربون آخرون . ولكن وجهات نظرهم الموءيدة للشاه وكرههم الشديد للا يرانيين جعلنا حذرين . حتى ولو كانوا من أكثر الناس حذقا والاكثر وعيا من الناحية السياسية فلم نكن نرغب أن نمضي وقتنا مع متحدثين بالانكليزية والفرنسية أو الالمانية . فاذا لم أقدر على التحدث بالكردية ، فالفارسية كانت أفضل . ولكن على الرغم من أن جميع متحدثي الفارسية الذين كانوا يلقون علينا السلام أو يسألون عن صحتنا كل يوم فقد بدا أنه ليس لدينا أصدقاء حقيقيون سوى الجعفريين . كل من التقينا به كان بالنسبة لنا آغا أو خانما ، سيد أو سيدة . حتى الناس الذين كانوا في نفس عمرنا ومكانتنا كانوا يعطوننا فقط أسمائهم الأخيرة عندما كنا نتعرف عليهم ، لذلك كنا نضطر أن نخاطبهم بشكل رسمي . أوضح لنا الجعفريون هم فقط ، منذ البداية بأنهم يريدون أن نناديهم بأسمائهم الاولى بدون ألقاب . وقد كانوا الوحيدين أيضا خارج نطاق أصحاب الدكاكين الجريئين في استخدامهم الضمير " TO " الرافع للكلفة عند مخاطبتنا وهو المرادف الفارسي للفرنسي " TU " وذلك عندما التقينا للمرة الاولى . وقد انتظرونا أن نرد بمثل هذه الايماءة الدالة على المودة ولكننا لم نقدر ، ليس لأننا لم نرغب بذلك ، بل لأننا ماكنا قد تعلمنا الشكليات أبدا . ولدى عودتنا الى الجامعة في الولايات المتحدة كان مدرسنا الفارسي قد حذرنا بأننا كغرباء من المحتمل أننا لن نتمتع بامتياز مخاطبة أي من الايرانيين بالشكل المألوف . حتى العديد من الاطفال الايرانيين لايستخدمون " TO " عندما يتحدثون مع والديهم . وعندما لم نرد ب " TO " التي استخدمها الجعفريون ، انتقلوا بسرعة الى الضمير" YOU " الاكثر رسمية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت هذه التبادلية مشكلة بالنسبة لنا ، ليس فقط فيما يتعلق باللغة ، بل أيضا فيما يتعلق بحسن الوفادة وكرم الضيافة . فقد استمر الجعفريون بتقديم الطعام لنا ، ولكننا عندما كنا ندعوهم للغداء كانوا يوضحون وبالحاح بأنهم لايشتهون ماكنا نطبخه ، وقد كانت شهرزاد تدفع طعامها من جانب لآخر في طبقها ببساطة ،بينما تحاول اطراءنا بأن طعامنا لذيذ جدا ، وبعد فترة قصيرة وافقنا على احتذاء مايرغبون به في قبول دعواتهم بدون أن نقلق أنفسنا بكيفية رد فعلهم هذا . أخذنا اخوهوشنغ وهو عازف جيتار في جولة بالسيارة لنرى للمرة الاولى البحيرة التي تقع على بعد عشرة كيلو مترات من المدينة . وقد اصطحبنا شهرزاد وهوشنغ في احدى نزهاتهم في ايام الجمع الى قرية باند .

خلال زيارتي اليومية لشقتهم ، كنت أعقد محادثات طويلة مع ابنة شهرزاد ذات الخمس سنوات ، حيث كانت قد بدأت للتو بتعلم الفارسية من والديها . لقد كانوا يريدونها أن تعرف شيئا ما بالاضافة الى لغتها التركية الأم قبل أن تبدأ بالذهاب الى المدرسة التي كانت تُدرّس رسميا بالفارسية فقط . كنت أنا وجيرد غالبا ما نسأل نصائح هوشنغ وشهرزاد عن العادات والاعراف الاجتماعية في ايران ، وفيما اذا كنا نرتكب خطأ في قبول دعوة بسرعة كبيرة أو أننا نوضح آراءنا بصراحة تامة أو أننا نلبس على نحو منافٍ للذوق ، ولكنهم كانوا دائما يبتسمون ويؤكدون لنا أننا كنا نقوم بكل شيء على ما يرام . وعلى الرغم من تأكيدهم كان الشعور بالقلق وبعدم الراحة يتنامى لدي اكثر فأكثر . فاذا كنا نتصرف كما يجب ، فلماذا كان يحدق فينا كل شخص في الزقاق ، في الكلية في الحافلات العامة ، بهذا الشكل غير الودي اذن ؟ .

ان الشغل المشالي للمرأة الايرانية هو أن تقضي وقتها مع قريباتها ، او اذا كانت أقل تقليدية مع صديقاتها ، تقتل وقت العصر بالشرشرة وأقداح لانهاية لها من الشاي مع المعجنات وطبيعي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن مثل هذه المرأة لديها خادمة تمكث في المنزل تنفض الغبار عن الوسائد أوكما في حالة شهرزاد تستخدم المكنسه الكهربائية لتنظيف البسط الثمينة . والجدة تعتني بالأولاد . كان أطفال شهرزاد يدعون جدتهم بمامان ، الكلمة الفرنسية التي اتخذتها الطبقات العليا والوسطى في ايران بدلا من كلمة " أم " و كانوا ينادون أمهم الحقيقية باسمها الاول .

ان لم تتواجد شهرزاد في دكان السلع النسائية أوعند مزيني الشعر أو الخياطين فأنها تكون مع أصدقائها وأقاربها . وذات يوم بينما كنت أمر من أمام باب منزلها دعتني للدخول ، التفتّ حولي وأدركت حالا أن سروالي المخملي المهدب وقميصي ذا النقوش المربعة لايلائمان المناسبة . لقد كنت محاطة بنساء مرتديات تنورات تصل حتى منتصف الساق ، وأحذية عالية الساق أو كما في حالة شهرزاد حيث كانت مرتدية فستانا أسود مقورا ، معدا للمساء . عندما قدمتني شهرزاد اليهن توقفن عن الحديث مع بعضهن ليمنحني ابتسامات عذبة جدا ، وكلما ت ترحيب بالفارسية ، وبعدئذ تحولن الى التركية ثانية ، جلست هناك ، محاولة أن أتصرف كجزء من هذه المجموعة ولكني شعرت فقط بالغباء والبلادة . فالنساء الايرانيات كن يشعرنني بالحالة الآتية : أني مرتدية على نحو أقل منهن ، وأني ذات تعليم عالي ، وعموما يدعنني في حيرة . وماذا يهم اذا كانت العديدا ت منهن لم ينهين الثانوية أو أنهن قد سلمن أطفالهن للجدات ليقدرن على أن يقضين أوقاتهن في حفلات الشاي عصرا ، أو أنه ليس بينهن من لديها أدنى فكرة عن السياسة أو الاقتصاد في البلد ؟ لقد كن يشعرنني بالدونية . وقد كنت أشعر بها فعلا ، وذلك لعدم قدرتي حتى على التحدث بلغتهن .وقفت في حيرة بينما احتشدن جميعهن في غرفة نوم شهرزاد ، حيث كانت آلة تمرين مستوردة ، غير مستعملة تقف في احدى الزوايا . تتبعتهن الى الغرفة وراقبتهن ، وكل واحدة منهن تخطو على حدة فوق ميزان شهرزاد ، فصدرت عنهن همهمات مفزعة ، لقد أصبحن بدينات جدا حيث أن كل هذه الملابس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستوردة التي يرغبن فيها رغبة شديدة ستبدو مخيفة عليهن. ماذا بامكانهن أن يفعلن ؟ كانت المسألة تُناقش بالتركية ، لذلك لم أتمكن من تتبعها ، وقد تذكرن التحدث معي ثانية عندما هممن بالمغادرة فقط ، حيث تحولن الى الفارسية ثانية ليودعنني بصيغ مسرفة في التعبير العاطفي .

في اليوم التالي ناولتني شهرزاد رزمة من الحبوب كانت قد اشترتها من الصيدلية المحلية ، حيث كان يباع كل شيء من الأدوية المخدرة الى حبوب منع الحمل بدون وصفات طبية . وكانت شهرزاد تريد أخذ هذه الحبوب لتحميها من السمنة ، وكان طبيبها قدنصحها بتناولها . ولكنها كانت لاتزال متخوفة قليلا ، فالحبوب قوية جدا وربما تسبب لها أعراضا جانبية . هل لي أن أقرأ النشرة المرافقة ـ وقد كانت بالانكليزية ـ وأوضحها لها ؟ .

نظرت في النشرة واستنتجت وبدون معرفة أي شيء يذكر عن علم العقاقير أن هذه الحبوب تعطى للذين يعانون من اضطراب في الخلايا الحية التي تسبب السمنة . وبالقدر الذي يمكنني قوله فان سمنة شهرزاد لم تكن تعزى الى أي اضطراب في الخلايا الحية بل وبشكل محض الى أكل الحلويات والارز طوال اليوم بدون القيام بأقل مايمكن من التمارين . ولكني قررت أن أترجم كل المكتوب بالانكليزية وبذلك يمكن لشهرزاد أن تقرأ وتقرر بنفسها . وقد وافقت طالبة في سنة التخرج مجتهدة في الانكليزية والبيولوجيا أن تزودني بترجمة مكتوبة ، واضعة اياها بحروف عربية صرفة في صفحة من دفتر الملاحظات الخاص بي . وقررنا معا أن ننصحها بعدم أخذ هذه الحبوب . وقد كتبت الطالبة في أسفل الترجمة : عليك أن تتمرني بدلا من آخذ الدواء . بعدئذ نقلت الي هذه الطالبة ـ التي كانت في طريقها للدراسة في أمريكا ـ موقف شهرزاد الساخر .

ففي العهود الغابرة بقدر ماتكون المرأة بدينة مثلما كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه شهرزاد فان ذلك لم يكن يعتبر غير ذي جمالية ، بل أن هذه البدانة كانت تشير الى الغنى والى حقيقة أن زوج المرأة لديه المال الكافي لاطعام عائلة على نحو جيد . وفي فترة تقارب الجيل كان كل شيء قد تغير ،كل شيء عدا اسلوب الحياة الذي ينتج مثل هذه السمنة . ان تمرينا حقيقيافي الهواء الطلق لمرأة مثل شهرزاد كان شيئا مستبعداعن التفكير . فحتى انها لن تخرج من سيارتها أو تتمشى . عندما عدت الى المنزل ، قرعت جرس مسكن شهرزاد واخذت صفحة الترجمة من دفتر ملاحظاتي وأعطيتها اياهافأخذتها بشغف ولكنها حالما شرعت بالقراءة بدأت ملامحها تتجهم وعندما أتت على نهايتها رمقتني بنظرة غريبة وشكرتني ببرود . ومن ثم لم تذكر لي موضوع وزنها مرة أخرى أبدا .

مع شهرزاد وايرانيين آخرين كانت قشرة الحضارة الغربية التي تعطي الاشياء رونقا وجمالية موضوعة بكثافة . حيث لم أقدر أن أميز أين تنتهي الا في وقت متأخر . ففي البداية لم أصدق أن تكون لدى شهرزاد أو السيدة جام آراء مسبقة مجحفة يمكن أن تمنعهن عن فهمي واحترامي . وبالطبع كانت حياتنا مختلفة تماما ،ولكني شعرت أن ذلك كان عرضيا فقط ، فقد كنت أنا وهي في نفس العمر، ولكني اعتبرت عدم انهائها للدراسة الثانوية مجرد سوء حظ . لم يخطر ببالي أن أحتقرها كما كانت تفعل السيدة جام لعدم حصولها على الدبلوم بالمراسلة . والسيدة جام وعلى الرغم من أن لديها ثقل اولاد صغار وزوجا لتعتني به عندما كانت في السادسة عشر فقط واصلت دراستها وتخرجت . ان ذلك لم يدخل الكثير من التغيير على حياتها كامرأة متزوجة من الطبقة الراقية في المجتمع ، فهي وشهرزاد كانتا تلاحقان نشاطات متشابهة ، والاختلاف الوحيد كان أن السيدة جام أكثر تقليدية نسبيا ، فهي التي كانت تقوم بتربية أولادها وليس أمها . وهي التي كانت تطبخ بنفسها تاركة خادماتها وخدامها يقومون بالأعمال الروتينية . ولم يحدث لي أن شككت في أن كلا من شهرزاد والسيد جام كانتا تريان نفسيهما أفضل مني أنا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك المرأة المسكينة ، المضطرة للخروج الى شارع ممتلىء بالرجال بدون سبارة لكي أكسب عيشي . لم أكن أرتدي الازياء العصرية وقلما وجد أثاث في منزلي . في البداية لم أحلم حتى كيف أني كنت أخيب أمل شهرزاد ، عندما أخبرت موءجر العقارات أنها سعيدة بقدوم عائلة أمريكية فقد كانت تنطلق من وهم أننا أمريكان حقيقيون ، أمريكان يشربون ويترددون على النوادي الليلية حيث يمكنهم أن يقدموا خمسة وسبعون دولارا ليوءمنوا الدخول في لعبة الرومي . وعلى كل حال كان من الصعب أن نعتبر أمريكان بهذه المقاييس ، ولكن ربما كانت شهرزاد قادرة على قبول حتى هذا الشكل اذا لم يكن خارجا على العادة . فكل ماكنت أهتم به هو الأكراد .

كنا جالستين بالقرب من التلفزيون عندما قررت أن أخبر شهرزاد بأني أجد صعوبة في ايجاد الاكراد ، وبما أن ذلك كان يشغل تفكيري كل الوقت فلم أقدر أن أتجنب التحدث عنه أكثر من ذلك ، وفي كل يوم لاأجد فيه فرصة للاتصال بالأكراد كان يدفعني الى التساوءل عن سبب مجيئي الى ايران . خيم الصمت لبرهة ومن ثم قامت شهرزاد بجهد محموم كي تبدو ودودة ، فقالت :

ـ ان زوجي يعرف بعض الأكراد ، فهو يعمل في مهاباد .

أصبت بالدهشة لدى سماعي هذا ، فشهرزاد لم تذكر قط أن زوجها يعمل في مدينة كردية . وكل ماكنت أعرفه هو أنه كان يكدس مبالغ ضخمة من النقود من بنائه بعض المنشآت الحكومية . ولم يخطر ببالي أبدا أنه يمكن أن يقوم بذلك في العاصمة الحقيقية لكردستان ايران . ان مهاباد ليست عاصمة رسمية ولاتقع في المقاطعة التي اختارتهاالحكومة لتسميها بكردستان . ولكن كل من قرأ أي شيء عن التاريخالكردي يعرف أن مهاباد هي مركز النشاط الثقافي والسياسي الكردي ليس فقط في ايران ، بل أيضا في كردستان الكبرى برمتها .

لسبب ماشعرت بوجوب الاشارة الى شهرزاد أني حقيقة لم أكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبحث عن أكراد من مهاباد ، لأني لا أدرس لهجتهم السورانية بل اللهجة الكرمانجية التي يتداولها سكان منطقة ربزاي والى الشمال منها . أومأت شهرزاد برأسها متشككة ماذا تعرف هي عن اللهجات الكردية وماذا فيها لكي تثير اهتمامها ؟ لقد بدت سعيدة لأني لم أكن أرغب في أن ازعج نفسي بأكراد مهاباد على كل حال . فسألتني وهي تعرض على نفسها فستان مخمل أخضر زيزفوني ، منتظرة أن أبدي اعجابي به :

ـ مارغريت ، ما رأيك بفستاني الجديد ؟ .

كل ماكنت أستطيع التفكير به هو مهاباد ، مهاباد . وماذا لو أني أدرس اللهجة الخاصة بها ؟ فعندما يتعلق الأمر بالأكراد كنت أهتم بما هو أكثر من اللهجات . قلت :

ـ ولكني أريد أن أراها .

فسألتني :

ـ ماذا ؟ ترين ماذا ؟

أجبتها :

ـ مهاباد .

بدت على محياها امارات الخيبة والكآبة ، ولكنها ابتهجت بعدئذ وقالت :

ـ أوه ، حسنا ، لم لا ؟ ان هوشنغ يذهب الى هناك كل يوم ، يمكننا الذهاب جميعا . وسنلهو قليلا .

كانت شهرزاد بائسة تماما وكان هذا واضحا على محياها .

عندما أتى هوشنغ الى المنزل رُتب كل شيء تلك الليلة على أن نسافر الى مهاباد خلال يومين . وحتى الآن لم أكن أعرف على نحو كاف شيئا عن العلاقات بين الاتراك والأكراد لأدرك اني سأزور مدينة كردية برفقة العدو . عندما قالت شهرزاد ان هوشنغ يتحدث القليل من الكردية صدقتها ، وعندما قالت أنها ستستمتع برحلة الى مهاباد فأظن انها كانت توهم نفسها بتصديق ذلك . فلو سميت المدينة باسمها القديم الذي كانت تسمى به قبل الشاه بسوج بولاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكانت ترددت . ولربما تذكرت أحداث ثلاثة عقود خلت قبل مولدها بقليل ، تلك الاحداث التي غيرت مهاباد وبقية ازربيجان الغربية . فحتى ذكرماكان قد جرى في الايام الخوالي تلك ، يمكن ان يعتبر شيئا منطويا على الخيانة . لربما شهرزاد قد نسيتها . أوأنها لم تخبر بها أبدا . حتى في فترة بقائنا في ايران كان الشاه مايزال مشغولا في اعادة كتابة التاريخ من خلال آلته الدعائية ، ليحول عدم قيامه بأي دور في انسحاب الجنود الروس من ازربيجان الى انتصار مذهل .

بعد الجلوس على كراسي منزل شهرزاد المدثرة كان من الصعب تصور الموقف في نهاية الحرب العالمية الثانية ،تلك الحرب التي أرا د رضاشاه دخولها الى جانب الالمان . في تلك الايام كان هنالك القليل من الآلات ذاتية الحركة في ازربيجان . فقد كان الناس ينتقلون بين المدن والقرى بالعربات أو على ظهور الاحصنه . لم يكن هنالك كهرباء ولامياه جارية غير موءذية ، ولاتلفونات . والاثاث الاوربي كان أقل انتشارا بكثير ولم يكن أحد قد سمع بعد بآلة التمرين . وبفع من النساء كن يتجولن في الطرقات ،وتقريبا لاأحد سوى المسيحيات واليهوديات كن يمضين سافرات .

ومع ذلك وعلى الرغم من الظروف البدائية السائدة حينئذ ، فان فترة جمهورية مهاباد تذكر بفرح ليس فقط من قبل القاطنين في مهاباد بل أيضا من قبل كل الاكراد في كل مكان . وبالنسبة للجعفريين كانت مهاباد منفذا صغيرا يعوزه الاشراق والحيوية ـ مغبرة أو موحلة ، وهذا يعتمد على الفصل . لم يشر اليها الجعفريون الى المعالم البارزة في مهاباد عندما ذهبنا الى هناك . فقد كانت بالنسبة لهم مدينة بلا ماض . وقد كان ذلك يقع على عاتقنا أن نميز أهمية مدينة كانت ذات يوم تخص الأكراد وحدهم فقط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

ان الاسماء في كردستان لها دلالاتها الخاصة . ان نسبة وفيات الأطفال مرتفعة في كل من ايران ، تركيا والعراق . ولكن في كردستان الجبلية فهي مرتفعة جدا ، وقد التقيت مرة بكردي من تركيا كان يدعى " ميڤان " الضيف . كان الملا المحلي الذي كان يستشار في هذه الامور قد اقترح هذا الاسم . من الواضح أنهم قد استعطفوا الله بامارة الخنوع هذه ، حيث ان الطفل بالفعل قد كبر الى أن اصبح رجلا . ولكن الحكومة التركية هي أيضا يجب أن تستعطف ، ففي الكردية الضيف هو " ميڤان " وفي التركية هو " مسافر " وفقط في المنزل وما حوله بين الاصدقاء الأكراد يبقى " ميڤان ".أن أكراد تركيا معتادون على مثل هذه الازدواجية . فالمدينة التي كانت مسقط رأس الميڤان كان لها أيضا أسمان مختلفان ، اسم فرضته الحكومة واسم قد استخدم منذ زمن غابر بقدر ماتسع المرء الحيلة في التذكر . ففي المحادثات غير الرسمية خارج مسمع الحكومة والبوليس السري يستخدم الناس دائما الاسم القديم على الرغم من أنه قد محي من الخرائط الرسمية منذ سنوات عديدة .

تماما مثلما كانت أورميا قد غيرت من قبل الشاه الى ريزا ي كذلك كانت سوج بولاق قد قلبت الى مهاباد ، والاختلاف يكمن في أن مهاباد كلمة حميدة نسبيا مع الاصول الايرانية ، بينما رزاي قد أعيد تسميتها بهذا الاسم نسبة لرضا ، الوالد الممقوت للشاه الاخير . ولكن على الرغم من كون اسم مهاباد حميدا فان سوج بولا ق قد بقيت بثبات سوج بولاق وهو اسم تركي يعني الماء البارد . ولمجرد حقيقة أن الحكومة هي التي قد فرضت الاسم الجديد عليهم فان ذلك كاف لجعل الأكراد يرفضونه . لقد كانت سوج بولاق وستبقى سوج بولاق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان أول من صحح استخدامي لمهاباد كان أحد تلاميذي الأكراد الذين أتوا من تلك المدينة . وكان يقال أن هذا الطالب ذو القامة الفارعة والوسيم هو متحدر من سلالة أحد قواد الجمهورية الكردية التي أسست سنة ١٩٤٦. و مثل طلاب أكراد آخرين في الكلية كان قد افتتن لدراستي لغتة الأم . وفي أحد الأيام وبعد انتهاء المحاضرة تحدثت بلهفة عن رغبتي في زيارة مهاباد ، ذلك المشروع القابع في ذاكرتي منذ وصولي الى ريزاي . ومهاباد تقع عند النهاية الجنوبية للبحيرة على بعد ثمانين كم فقط .

ـ نعم انها مدينة جميلة .

أجاب طلابي الأكراد على نحو جماعي بينما كانوا واقفين حول مقعدي . فكرت في نفسي : أن هذه هي الفرصة المناسبة كي أسأل اذا كانوا يعرفون كرديا يدعى حسن قد التقيت به في الولايات المتحدة وكانت بلدته مهاباد . ولكن وجوه طلابي تجهمت لدى ذكري اسمه فأشار أحدهم قائلا .

ـ لقد قتل السافاك أخاه .

ـ ظننت أنه قد غرق في الرحلة المعسكرة في منيسوتا .

قلت ذلك وأنا أشعر بحيرة ازاء افتراض أن البوليس السري الايراني كان قد نفذ حكم الموت بأخي حسن . ربما لم يسمع هؤلاء الطلاب قط بالتفاصيل الحقيقية . صرح أحد الطلبة :

ـ ان الذي يجيد السباحة لايمكن أن يغرق . لقد قتله السافاك . أومأ الآخرون برؤوسهم مؤكدين ذلك ، وهم يحدقون في مشككين . هل أنا مبعوثة من السافاك لأقنعهم بغير ذلك ؟ .

هذا ماكان يتعلق بطلابي الأكراد . وهنا في ايران حيث لا توجد جريدة تنشر أخبارا موثوقة ، كانت لديهم أخبارهم المستمدة من مصدر موثوق . أما أنا وبعد التحدث الى حسن في أمريكا فقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تصورت أنه كان مجرد حادث مأساوي،ماهي حقيقة الامر ؟ طالما هي مرتبطة بالسافاك فلن نعرفها أبدا . فكل الحوادث الأليمة في ايران يلفها ضباب كثيف . ففي غضون اقامتنا هناك انهدم سقف مبنى مطار طهران تحت ثقل ثلج الشتاء وقد قتل فيه المئات من المسافرين ، وذلك اعتمادا على المصدر الذي أعلن عن الحادث . وكان الطلبة في ايران لسنوات عديدة يقومون باضرابات يحيون فيها ذكرى اليوم الذي يقولون أن أربعة وأربعين طالبا في جامعة تبريز قد قتلوا فيه على يد الجيش . ومع ذلك فان شهود عيان يدعون أنه لم يكن هناك قتلى .

انبعثت حقيقة معبة من خلال مناقشاتي مع طلابي المهابادبين فلم يخاطر أحد بنفسه كي يريني المدينة . وقمت أنا وجيرد بمحاولات عديدة لأخذ الحافلة الى هناك لوحدنا ، ولكننا كنا نفشل فيها . فقد رفض الموظف الجالس في مقعد في محطة الحافلات الصغيرة القذرة ، الواقعة قرب بازار ريزاي أن يعطينا مقاعد مستقلة فمن الواضح أنه لم ير في حياته أجنبيين بملابس حسنة يريدان الذهاب الى مكان مثل مهاباد بالحافلة . والآخرون في حجرة الانتظار كانوا يرتدون أسمالا بالية وكانوا جميعا يحدقون فينا بينما كنت أتفحص الجدران بحثا عن لائحة أو قائمة أسعار ولكن بدون جدوى .

والآن وبعد مضي شهر على وصولنا الى ريزاي وجدنا أخيرا وسيلة للوصول الى مهاباد . وحقيقة أننا كنا ذاهبين برفقة الاتراك لم تزعجني . لقد كنت سعيدة جدا لكوننا سنذهب على كل حال. راجعت في ذهني ماكنت أعرفه عن المدينة . كان أصدقاء لنا قد خدموا هناك في فرقة السلام قبل ثماني سنوات ، وقد وصفوها لنا على نحو شامل ولكن من الواضح أن الاشياء قد تغيرت منذ ذلك الحين كان أصدقائي قد نصحوني بأخذ ملابس خاصة لأرتديها في شوارع ريزاي . ولكني لاحظت مباشرة أن ارتداء السروال كان قد أصبح دارجا لدى المرأة الايرانية العصرية . قالوا اننا لن نجد ماء نقيا ولاثلاجة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آو سخانة ماء حيث حصلنا عليها مباشرة . وكانت هنالك جثتان معلقتان في سوق مهاباد في يوم وصول أصدقائنا اليها قبل ثماني سنوات . وقد كانتا جثتي كرديين اتهما بمعارضة السلطات . كان الأكراد خلال اقامة أصدقائي هناك مايزالون يناضلون ضد الحكومة علنا ، وكانت الحكومة تمثل بالأكراد في السوق . في الوقت الذي وصلنا فيه كانت هذه الاساليب قد بطلت . كانت الزنزانات الخفية للسافاك وقوات الدرك الريفيه النشيطة تسيطر الى حد ما على المناطق الريفية .

اذا كانت للأسماء في كردستان حياة خاصة بها ،فان الاسم الرنان المتسم بالطهاره " چارچرا " ويعني حرفيا القناديل الاربعة. هو احياء لذكرى اثنين من عمليات الاعدام ، فقد كان قد نفذ حكم الاعدام في اثنين من قواد الجمهورية الكردية هناك . وموءخرا كانت ساحة " چارچرا " المستديرة بقناديل شوارعها الاربعة عند نقطةالتقاطع المغبرة قد ازيلت ، والشوارع الموءدية اليها قد أعيد تسميتها وبسبب مهاباد فان طهران لن تثق بالأكراد أبدا .فالأكراد جميعهم أعداء والخيانة كامنة في نفوسهم وهم مخربون بالنسبة للدولة التى تحكم من طهران . وبالانسحاب سنة ١٩٤٦ يستنبط الفرس بأن الأكراد قد قضوا على أنفسهم الى الابد .كانت مهاباد بالنسبة للشاه وللايرانيين بمختلف قناعاتهم السياسية مثالا لما يستطيع أن يفعله الأكراد وما سيفعلونه ثانية ، اذا أتيحت لهم الفرصة . وكذلك فان تبريز هي رمز لأحلام القوميين الأتراك و اضطهادهم . ولكن قصة الجمهورية التركية متعلقة هنا بالمحيط الخارجي .

في سنة ١٩٤٦ كانت كردستان ايران قد حررت على نحو غير متوقع من قبضة رضا شاه المحكمة ، الذي كان قد استخدم أساليب وحشية ليسيطر على الاكراد وعلى غيرهم من المجموعات القبلية المقاتلة . ومن جملة ما قام به من اعتداءات ، أنه اعتقل قواد قبائل في طهران ، فرّق أراضيهم ، وحرّم اللباس التقليدي عليهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في أواسط الحرب العالمية الثانية احتل البريطانيون ايران الجنوبية قرب حقول النفط بينما تحرك جنود الجيش الروسي نحو الشمال الغربي على طول الحدود التركية الروسية وكان ذلك ـ وعلى حد زعمهم ـ للتأكد من أن رضا شاه لم يدخل الحرب الى جانب الألمان . ولكن في الحقيقة كان لكلا البلدين مخططاتهما في ايران . وعلى نحو خصوصي مطامع في نفطها . بما أن حضور الجنود السوفييت قد منع الجيش الفارسي على نحو فعال من فرض النظام القائم حينذاك على كردستان فقد مضت مهاباد أو " سوج بولاق" بشبات أكثر تجاه الحكم الذاتي . والروس الذين كانوا أكثر فعالية بين الاتراك في الشمال رفعوا القيود عن الاكراد .

واخيرا في سنة ١٩٤٦ وبتشجيع من الروس ، انبثقت دولتان من بقية ايران وأعلنتا استقلالهما . وكانت جمهورية ازربيجان كبرى الاثنتين قد أسست في تبريز التي تقع على بعد ١٨٠ ميلا الى الشمال من ريزاي . وكان يديرها الاتراك الذين جعلوا من لغتهم التركية اللغة الرسمية في الجمهورية . حتى ذلك الحين كانت الآزرية لغة لاقواعد لها ، مهملة رسميا من قبل طهران ومحظر تداولها العام . وقد شجع الروس الاتراك الآزريين وساعدوهم على اعلانهم عن الاستقلال الثقافي والسياسي عن طهران . وكانت الحكومة الجديدة لجمهورية ازربيجان قد قولبت باحكام على شاكلة التفكير والعمل والسلوك السوفييتي مع منظمة بوليس سري محكمة .

على نحو أبعد الى الجنوب ، وبدعم أخف من الروس كانت الجمهورية الكردية الاصغر ، وكان يديرها قواد مجتمع يتمتعون باحترام بالغ من مهاباد مع ممثلين عن المناطق القبلية المحيطة . لم يكن هناك بوليس سري والتوجيه الروسي كان يتصف بالفلة نسبيا وكان جيش الجمهورية الكردية مشكلا على نحو رئيسي من أتباع قواد القبائل المحلية المختلفة ، ولكن ، كان من الصعب أن يكفي لصد هجوم منظم . كان على الجمهورية أن تدافع عن نفسها عاجلا أم آجلا . ولكن عندما أنجبت مهاباد جنرالها الاول الحقيقي لم يرحب به بتأذر ع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفتـــــوحة .

في الوقت الذي أسست فيه جمهورية مهاباد ، تسلم رئاســـــة قبيلة البرزاني في شمال العراق قائد قبلي جبار ، متوسط العمـــر ، يدعى ملا مصطفى البرزاني . كان البرزانيون مقاتلين مشـــــهوريـــن فبالاضافة الى محاربة أعدائهم التقليديين مثل قبيلة زيبـــــاري، كانوا في وقت قريب جدا يحاربون البريطانيين . وردا على ذلك فقد قصفت القوى الجوية الملكية مقاطعة برزان وأجزاء أخرى من كردستان وقد جاءت جمهورية مهاباد في وقت احتاج فيه الملا مصطفى للخـــروج من جبال برازان ، حيث كان يُجتذب بأناة الى فخ نصبه الانكليـــــز بالتواطوء مع قبائل معادية مجاورة . في ١٩٤٠ كان البريطانيـــــون قد قرروا فرض النظام في كردستان العراق بأية وسيلة . وقد رأوا في اتباع البرزاني القبليين تهديدا مباشرا لخططهم لنقل زمـــــام السلطة في العراق الى العرب مبعدين بذلك كلا من الأكراد والآشوريين. وعلى نحو مغاير عن العراق كانت ايران قدقسمت وسادت فيها الفوضى خلال الحرب العالمية الثانية ، مقدمة بذلك أرضية مثالية للأكـــــراد الراغبين في حكم أنفسهم بأنفسهم . قرر البرزاني أن يعبر برجالـــه الحدود ، وأقام مركز القيادة في مهاباد .في البداية استقبـــــل البرزاني بحذر ، وعلى الرغم من أنه كان قدهرب لتوه من الأســـــر البريطاني ، فقد كان يرتاب فيه على أنه عميـل بريطانـي مـــــن وجهة نظر أزربيجان التي يشرف عليها السوفييت .وموءخرا فقـــــط عندما تحرك الجيش الفارسي على مقربة من مهاباد تثبتت بـــــراءة البرزاني وقواته بمآثرهم الشجاعة .

على الرغم من أن الدولة الكردية كان يتوفر فيها القليـل من الديمقراطية ، فان هذا القليل كان يمثل تقدما كبيرا عما كـــــان يسبقها فقد طرد البوليس الفارسي والبوليس السري والجيش من المدينـــة ورفع العلم الكردي ، وقد رقص فعلا سكان المدينة في الشوارع ،وظهـرت الجرائد والكتب بالكردية مباشرة ، وقد استخدمت الكردية في المـــدارس ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي دور العدل والقضاء التي كان يديرها قضاة مسلمون تقليديون ، وكان القاضي محمد رئيس الجمهورية المصغيرة نفسه واحدا من هؤلاء القضاة .

على الرغم من أن الأكراد كانوا قد تمتعوا بحكم ذاتي فعلي لسنوات عديدة خلت ، فان الجمهورية الحقيقية استمرت قرابة سنة واحدة . خلال ذلك الوقت وعد الروس بدعم كلا الجمهوريتين الكردية والازربيجانية . ولكن القوى العربية التي لم تكن تريد أن ترى الجمهوريتين المحميتين من قبل روسيا في ايران سعت جاهدة لازالة القوى الروسية . وأخيرا انسحب الروس من الجمهوريتين الفتيتين اللتين شجعتهما مع قليل من التحذير أوحتى بدونه أيضا وأصبحت الجمهورية الازربيجانية أسطورة بين عشية وضحاها ـ وعهد الارهاب يقول شيئا والحلم القومي يقول أشياء أخرى ـ وواجه الاتراك عقدا من المجاعة ، وكان سوء المناخ وندرة المحاصيل سببا في ذلك جزئيا . ولكن في فترة اقامتنا في ايران ، وبعد مايقارب ثلاثة عقود كان الناس يقولون : ان طهران لن تسامح تبريز أبدا . تلك التي كانت أكبر مدينة في ايران ذات يوم وكانت عاصمة السلالة الحاكمة ،وقد تركت لتبلى في غبارها ، وأصبحت منسية عندما وضعت الخطط الصناعية فاضطر سكانها الى الهجرة الى طهران بحثا عن العمل .

في مهاباد ، في النهاية الأخرى من البحيرة ، كان مصير الأكراد أكثر دموية ، لاعتقادهم أن الايرانيين لن يقوموا بأي عمل انتقامي ضدهم . لم يكونوا على علاقة متينة بالروس ،ولم يرتكبوا تجاوزات الأتراك في الشمال منهم . مع ذلك ، وبعد معارك عديدة وبعض المفاوضات مع الحكومة الايرانية ، اعتقد البرزاني أنه من الحكمة الفرارمع جيشه ، وقد عرض عليه الالتجاء الى ايران ولكن بشرط أن يسلم هو ورجاله كل أسلحتهموأن يستقروا في مكان بعيد عن مهاباد .ولكنه قرر مغادرة ايران هو ورجاله في ظروف بالغة القسوة جنبا الى جنب مع عائلاتهم ، وكانوا يطاردون في الجبال على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طول الطريق حتى الحدود الروسية . من ضمن الأكراد الايرانيين كان هنالك من لايضمر الحب للبرزاني . فاحدى القبائل على نحو خاص وهي قبيلة " الهركيبن " تعاونت مع جيش الشاه بالقيام بغارات متكررة على البرزانيين وهم يفرون الى الشمال . ومرة أخرى انقسمت كردستان الى اتجاهات قبلية وكل مجموعة تحاول أن تستفيد على حساب الاخرى . يبدو أن هذا هو بالضبط ماتريده الحكومات من الأكراد أن يفعلوه . وبعد مرور ثلاثين سنة بداواضحا أن الشاه لم ينس موقف الهركيين ذاك ، حيث تتفاخر قرى الهركيين بالمدارس والمستوصفات التي تفتقر اليها القبائل الاخرى .

قبل أن تسقط جمهورية مهاباد مباشرة وقبل أن يتقدم الجيش الايراني نحو الداخل ، ذهب البرزاني الى القاضي محمد الرئيس ليسأله اذا كان يريد الذهاب الى روسيا . لكن القاضي،

ـ أما لبساطته أولأمانته البالغة ـ اختار البقاء في مهاباد . فقد شعر بعدم قدرته التخلي عن الناس الذين مضوا معه في هذه المجا زفة الجريئة من غير اعتبار للحكومة الايرانية ، ومن المحتمل أنه لم يصدق حقيقة أن الحكومة ستكون غبية ، لتجعل منه شهيدا . ولكن وقبل مغادرة البرزاني بثلاثة أسابيع كان القاضي واثنان من أقربائه قد أعدموا في ساحة " چارچرا" القناديل الاربعة في سوج بولاق . ان كلا الاسمين ـ چارچرا وسوج بولاق لم يعودا يعزيان لأي مكان في ايران . ومهاباد كغيرها من المدن أرهقت بحمل اسم شارع بهلوي وبتماثيل الشاه البهلوي ووالده البرونزية العديمه الذوق . لكن أهالي مهاباد لن ينسوا ماحدث لهم أبدا .

حتى بعد قراءتي لتاريخ الجمهورية الكردية كنت لاأزال أدرك مضامينها فقط على نحو غامض فيما يخص العلاقات بين الاكرادو الاتراك في ايران في الوقت الحاضر . في سنة ١٩٤٦ قاومت دولتان طهران وتحدتا الحكومة المركزية بالقيام بأي شيء ضدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان كل من الاتراك والاكراد قد تلقيا الكثير من التشجيع من الروس ليتعاونا معا ، ومع ذلك فطوال الأحد عشر شهرا من وجود جمهورية مهاباد ، كان الكثير من الاكراد في شمال مهاباد ، في منطقة ريزاي يرون الاتراك الازربيجانيين - وليس فرس طهران أعداء حقيقيين . والازربيجانيون من جهتهم كانوا قد تجاهلوا الأكراد قدر استطاعتهم . وبما أن المدن الواقعة الى غربي البحيرة و ريزاي وحوالي تبريز كانت تقطنها الأغلبية التركية ، فقد شعر الازربيجانيون الاتراك بالامان عند منعهم الجماهير الكردية التي تشكل كما ضخما في القرى المحيطة من أن يمثلوا أنفسهم ، أو أن يؤخذوا بعين الاعتبار . وهذا الوضع لايزال مستمرا حتى هذا الحين . ويشكوا الاكراد من أن المدرسين والطلاب الاتراك يتحدثون التركية في المدارس العامة في ريزاي ، حيث من المفترض أن تكون الفارسية هي اللغة الرسمية . ويقول الاكراد بأنهم سيتذكرون طالما فيهم من لديه القدرة على التذكر أن الاتراك لم يتجاوبوا معهم على الوجه الاكمل . الا أنني احتجت الى فترة من الزمن لكي أدرك ادراكا كاملا عمق التعصب العرقي في ريزاي ،كان جميع جيراني اتراكا بينما كان معظم زملائي في العمل من الفرس . وتماما مثلما لم أشك بماهية شعور الجعفريين تجاه الأكراد ،كذلك لم أكن اعلم ولوجزئيا كم كان الاساتذه الامريكيين والاوربيين في الكلية يحتقرون جيراننا . كانت رحلتنا الاولى الى مهاباد رحلة لشخصين بريئين ، مثلما كانت لقاءاتنا الاولى غير المتوقعة والعديد في ايران . وصلنا الى مهاباد عن طريق عام كان لايزال قيد الانشاء ، هذا الطريق المعبد يوصل تبريز بكرمنشاه في الوقت الحاضر. لم نرى شيئا لعدة أميال سوى سهول موحلة ممتدة الى جانب البحيرة وفي احدى البقاع شاهدنا قطيعا من الجمال لايفسر وجوده هنا على اعتبار أنه ليس من الحيوانات المألوفة في آزربيجان الغربية . وحالما غادرنا السيارة في شارع بهلوي في مهاباد وسط منطقة الجزء الادنى من المدينة شعرت بأنه كان لزاما علينا عبور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحدود . أن النساء في الشارع المهابادي لايضعن الغطاء . فهن لايحتجنه ـ ففي مهاباد القليل من الاتراك والفرس ، والشوارع مزدحمة بالرجال الأكراد المرتدين العمامات الضخمة والسراويل الفضفاضة التي تضيق عند الكاحل . وقد اكتشفت حالا ان الاكراد لايحدقون في بطريقة الاتراك المتغطرسة . على الرغم من أن مهاباد بطبيعتها محاطة عند حوافها بالجبال أكثر من ريزاي القابعة فوق سهل واسع فان مهاباد التي تقع في واد الى حدما ، هي أكثر اشراقا واضاءة . لربما كان تفسير ذلك هو غياب العباءات .

عندما خرجنا من السيارة لاحظت أن شهرزاد لم تظهر لتقاسمني حماسي لهذه المدينة الكردية . فقد لفت شالها الاسود المحبوك بشكل جيد حول جسدها بعصبية عندما قادتنا على نحو سريع الى دكان تذكارات يقتنيه ويديره تركي من ريزاي . قضينا فترة الصباح هناك حسب ارشاداتها . وبعد ان قمنا ببعض المشتريات عزمت على الاتصال بعائلة حسن المهابادي الذي التقيته في امريكا . وحالما ذكرت اسمه تغير جو المحل ، فأوحى الينا صاحبه ان اخا حسن ربما يكون ـ وعلى ما هو شائع ـ في السجن . ولكني رفضت أن يثبطوا عزمي وبذلك ساعدتني شهرزاد على مضض كي اهتف الى منزل عائلة حسن . وحين ظهر رجل بدين لا يشبه حسن في شيء عند مخزن التذكارات راودني الشك فيه ، فتساءلت فيما اذا كان هذا حقا ، أخو حسن أم أنه من عناصر السافاك . لم تكن هناك وسيلة لمعرفة ذلك . لماذا كانوا يفكرون في وجوده في السجن ؟ هل كان مجرما ؟ فأنا لم أقم المدة الكافية في ايران لأميز بين المقياس الامريكي والايراني في أسباب الاعتقال . اعطانا أخو حسن رقم هاتفه مكتوبا بأرقام انكليزيه مشكلة بطريقة غير متقنة وبعدئذ مضى بعيدا مما أراح شهرزاد كثيرا . لقد اراد أن نتصل به ونجتمع في المرة القادمة في مهاباد عندما نحضر اليها ، ولكننا لم نفعل ذلك أبدا .

ان تاريخ حسن واخوته الى حد ما هو نموذج لما كان على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقيمين في مهاباد أن يعانوه في غضون سنوات . ففي سنه ١٩٥٠ . وبعد فترة ليست بطويلة بعد سقوط الجمهورية ، كان هنالك أخ أخر لحسن وقد كان في الثلاثين من عمره آنذاك ، حين جمع مع شباب اخرين وحجزوا في كوخ صغير لمدة اسبوع وكان البوليس قد غطى أرضية الكوخ بالماء بعمق قدم وقال حسن أن اخاه ذاك لم يشف من ذات الرئة التي اصيب بها أثناء التعذيب . كان قد أتهم بنشر مواد تحريضية وبعدئذ أفرج عنه . لقد تضررت رئتاه فقط ، أما الاخرون فلم يكونوا محظوظين مثله . كان ذلك في الزمن الذي يعتبر فيه الادب الديني عملا تحريضيا . وحسن نفسه وأخوه الذي قتل في احدى المخيمات العسكرية كانا فعلا قد رتبا امرهما للذهاب الى الولايات المتحدة ، زاعمين انهما سيذهبان للدراسة ولكنهما حقيقة وقبل كل شيء أرادا أن يبقيا على حياتهما . وبعد عودتي من ايران ، ولدى رويتي لحسن عند ذلك فقط ، افهمني وأنا في امريكا سبب افتراش تلاميذي المهاباديين مباشرة ان السافاك قد اقتالوا أخاه . ان حوادث موت اناس من مهاباد غالبا ماتكون غير طبيعية ولا عرضية .

عندما سرنا مع شهرزاد الى فندق " مامون سراي " الحكومي ، المحلي ، الصغير ، القينا نظرة خاطفة على المدينة . كان دزينات من الرجال الباعثين المتجولين ينادون على بضائعهم التي تضم راديوات ومسجلات وبضائع مستوردة اخرى على طول الطريق الرئيسي . لقد كانت مهاباد مشهورة بكونها قبلة البضائع الغربية المهربة ، وبما أن الاتراك على جانبي الحدود كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض بيسر ليتجنبوا الجمارك من غير ريب ، فان سلسلة التهريب قد كسرت عندما استخدمت الحكومة العراقية النار وجردت عناصرا لتحدث مايبلغ امتداده خمسة وعشرين كيلو مترا من الارض المحروقة بين قراها الكردية والقرى التابعة للبلدان المجاورة لها في ايران وتركيا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد أن تناولنا الغذاء في غرفة خاصة في فندق مامون سراي ـ حيث لاتأخذ النساء غذاءهن في حجرة الطعام العامة ـ تجولنا أنا وجيرد لوحدنا عبر الازقة الصغيرة الموحلة وعلى ناصية الشارع الرئيسي وقوّت الازقة الملتوية والمنازل المبنية من الطين شعورنا بأننا كنا فعلا في بلد آخر . كان منزلنا الخاص مبنيا من الاسمنت مع قطع صغيرة من الزجاج الملون ، وكانت مرايا مكسرة تبرز في الواجهة . وفي وقت لاحق ، عندما سرنا الى موقع الانشاء الذي يعمل فيه هوشنغ ظننت ان مهاباد ستفخر حالا بمنازل مثل منازلنا . كانت منازل هوشنغ تبنى في صفوف مستقيمة ،طويلة وكئيبة . والانابيب تتدحرج في تلك الانحاء بين غبار الشارع غير المنتهي ، وكأن للمنطقة مظهر اعزل ، كئيب ، مغاير تماما للمتاهات التقليدية للازقة بجدرانها المنخفضة وحدائقها الصغيرة . غامرني شعور بانني ساتخلى بسعادة عن سخانه الماء والثلاجة لاعيش في مهاباد القديمة .

امضينا يومنا في مهاباد على عجل ، وانتهى هوشنغ من عمله ، وتحررت شهرزاد من حملها المقيت لترينا تلك الانحاء . كنا نتتبع مجرى النهر خارج المدينة ، عندما انعطف هوشنغ وبدون سابق انذار من الطريق الرئيسي الى شارع مستقيم منحدر ، ومفروش بالحصى بشكل حسن . بعد بضعة كيلومترات ادركنا ساحة مستديره ، وكانت تشبه تلك الساحة التي تشير الى بداية مهاباد تماما ، الا أن هذه ، تتميز بعدم وجود تمثال للشاه او والده ،وانعدام العشب في وسطها . داخل هذه الساحة المستديره كان يقف مجموعة من الرجال بعضهم كبار وبعضهم شباب ،و جميعهم مرتدون البسة ملوثة وممزقة من الطراز الغربي . لم أر زوجا واحدا من السراويل الكردية الفضفاضة او حتى عمامة . كانت شهرزاد تستشيط غضبا في المقعد الامامي عندما ترجل هوشنغ وبدأ بالحديث مع زمرة من الرجال. قررنا انا وجيرد ان نخرج أيضا ، ونلقي نظرة على تلك الانحاء .

حالما خرجنا من السيارة ، اندفع بقية المتجمهرين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باتجاهنا ليمعنوا النظر فينا عن كثب . الفت الشمس التي كادت تأفل بسرعة بظلالها الوارفة على المشهد بشمولية تامة ، جاعلة وجوه الرجال الملوحة بالشمس تبدو أكثر سمرة . بينما كانوا يحدقون فينا ،شعرت بعداء قاهر موجه للباسنا النظيف غير الممزق ، ولوجوهنا الشاحبة المحمية ، ولفضولنا غير المخفي . وفجأة قال جبرد :

ـ الا تلاحظين شيئا غريبا في هذا المكان ؟

صدمت بسمة الاكتشاف المميزة في صوته وتجهمت ملامحي لذلك . من الواضح أن المكان كله كان غريبا جدا ، لقد كنا محاطين بمجموعة من الرجال الاتراك الفقراء فقراء مدقعا والعدائيين ، حيث كانوا يقفون في الطريق يحدقون في زوجين غريبين عنهم .

في الجانب الآخر من هذه الساحة الدائرية الطينية المحاطة بطريق مفترش بالحصى كانت هناك مجموعة صغيرة من المخازن الشبيهة بالاكواخ تبيع الفاكهة والخضار وبعضا من البضائع الجافة المعبرة، هتف جيرد قائلا :

ـ لاتوجد سيارات هنا . انهم ينشئون هذا الشارع المشجر وهذه الساحة الدائرية السخيفة في مكان لااهمية له . فلا احد من هؤلاء الناس يقدر على شراء سيارة . ان الحكومة تنشئ طريقا لن يعود عليهم بفائدة .

وقبل ان يمضي جيرد في تفصيلاته اكثر ، رأينا هوشنغ يرجع ويدخل سيارته . أسرعنا نحن أيضا بالدخول ووبختني شهرزاد بعدئذ قائلة : أن الرجال هنا ليسوا معتادين على رؤية النساء . اقترح هوشنغ في محاولة منه لتلطيف الجو ، أن نقوم برحلة جانبية الى واد آخر لرؤية بعض من البقايا الاثرية الممتعة ، وتجادل الاثنان لبضع دقائق ، وبعد ذلك اقر هوشنغ أن القيادة لن تكون مأمونة الجانب حول الجبال في الظلام . لقد بدا أن الطائرات العراقية كانت تحلق على مقربه دانية ، من الروؤس ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقصف القرى الكردية في الجانب الايراني وكذلك في الجانب العراقي من الحدود . وقد ضحك هوشنغ كما لو أن هذه كانت نكتة بارعة . عند هذا شعرت بقشعريرة تسري في بدني .

اليوم الذي تلى رحلتنا الى مهاباد ، احتفل فيه بالعيد ، اشارة الى انتهاء رمضان ، بعد فترة صيام المسلمين لمدة شهر . سمعت اصوات الضيوف في يوم العطلة هذه ، بينما كنت أمر بباب الجعفريين نصف المفتوح . فعرفتني على ابن عمها الذي كان يعمل في مهاباد كمراقب على التبغ .

ـ مهاباد مكان بغيض .

قال ذلك استجابة لاخبار ذهابي الى هناك منذ فترة قريبة جدا . أومأ بقية الاشراك الموجودين في الغرفة بالموافقة على ذلك ، والتفت شهرزاد في كلامها قائلة :

ـ لكن مارغريت تحب مهاباد ، اليس كذلك ، يامارغريت ؟

ـ نعم .

قلت ذلك بينما كان يحدق فيّ الجميع .

بعدئذ انفجرت شهرزاد قائلة :

ـ كما تعرفون ، ان مارغريت تحب الاكراد ، وتريد أن تتعلم الكردية .

عند ذلك جحظت عينا ابن عمها ولم يضف احد آخر اي شيء . ابتسمت شهرزاد وهي تقول موضحة :

ـ الغرباء يهتمون بمثل هذه الاشياء .

ومن ثم غيّر احدهم موضوع المحادثة .

بعد رحلتنا الى مهاباد ، نظرت الى قطعة الورق المجعدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكتوب عليها رقم هاتف الرجل الذي ادعى انه اخو حسن عندما كنا في مهاباد . كان يلح علينا ان نهتف له حالما نتمكن من ذلك . ولكن كيف ؟ لقد ترددت في طلب الهاتف من شهرزاد لاستخدمه بعدئذ اخبرني احدهم ان الهواتف في مهاباد لم توصل بعد بتلك التي توجد في مدن ريفيه اخرى . لم اعرف ماالذي سأصدقه ؟

كنت على وشك استخلاص هذا الدرس في ايران : انه عندما يرفض أحدهم أن يعطيك معلومات عن كيفية الوصول من النقطة " أ " الى النقطة " ب " ـ كما حصل معنا في محطة الحافلة عندما حاولنا للمرة الاولى ان نذهب الى مهاباد ـ او عندما يقول : انه من الممكن الا استطيع الاتصال من مدينة باخرى ، فانه يحاول قول شيء مغاير. وعندها قالت شهرزاد لنا في مهاباد : انها لاتعرف أي مكان آخر لتأخذنا اليه سوى دكان التذكارات لصاحبه التركي ،فقد كانت تخبرنا بأنه علينا الا نكون في أي مكان آخر سواه . لقد كانت هي وهوشنغ يحاولان بحذر ان يحصرا زيارتنا هناك داخل سيارتهما فقط ، وفندق ـ مامون سراي ـ الحكومي ودكان يقتنيه تركي . عندما اخترقنا الحواجز التي وضعوها لنا مصرين على رؤية حسن ،وذاهبين في جولات قصيرة ، وخارجين من السيارة في الساحة المستديرة ، كان من الطبيعي لهم ان يضطربوا لذلك . مع انهما يعرفان اكثر منا أين كان مكان تواجدنا .

كل امرىء في ايران له مكانه ، فالخدم والعمال لهم اماكنهم في حافلات المدينة التي يكلف الركوب فيها ثلاث سنتان فقط . الموظفون وعمال آخرون ذوو الياقات البيضاء ، لهم اماكنهم في حافلة هيئة الاساتذة ، التابعة للكلية ، او الحافلات المزودة من قبل مكاتب الكلية . هذه الحافلات حرة . والمشتغلون بمهن تقتضي ثقافة مثلنا ، من المفروض عليهم ان يقتنوا سيارات ، حيث كانت اجرة الركوب في زمن اقامتنا مايربو على٤٫٥٠٠ من الدولار. ان هذا الحس بالمكانة قوي جدا ، لدرجة انه عندما افطر زميل لنا لبيع سيارته تحت ضغط ظروف مادية ، كان يمشي عدة اميال بدلا من آخذ حافلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المساعدين .

للاكراد مكانهم ، خارج مدينة ريزاي . كان ذلك جزءا من الامور المزعجة جدا عن اللاجئين . لقد كانوا يصرون على كونهم اكراد على نحو علني في مدينة تركية . اما مهاباد ، فقد كانت العكس تماما . فهناك لاينتمي اليها الاتراك . ربما كان ذلك هو السبب في أن الحكومة كانت تنشيء مدينة صناعية ، في ضواحي مهاباد لتجلب اليها الاتراك والفرس وتجعل المنطقة أقل كردية على نحو فعلي ، فكلما اصبحت كردستان اكثر اختلاطا ، فان سكانها سيجدون صعوبة اكثر في الانفصال عن الحكومة المركزية شانية . لقد كانت الحكومة العراقية تستخدم هذا الاسلوب لسنوات ، لتقلص من مساحة كردستان التابعة لها .

كان الزمن ينقضي على نحو غير معروف لحكومة الشاه ، وكان قد تأكد بشكل قاطع ان المجندين في الجيش من كردستان ، أوفي الحقيقة ، من أي من المناطق العرقية المكثفة ، لن يمركزوا بين الشعب المنتمى اليه . كانت الحكومة قد ارسلت حكاما ومحافظين مهيئين في طهران ، وموثوق فيهم بانعدام اي قاسم مشترك كاللغة والشعور بالتعاطف بينهم وبين هوءلاء الناس الذين تحت ادارتهم ، وكانت قد اغرت روءوساء القبائل واستخدمتهم لقاء مبلغ من المال . لكن حلم الجمهورية والاسماء سوج بولاق وچارچرا تواصلت بين الاكراد ، على الرغم من جهود الساڤاك القصوى لاجتثاثها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

كنت مضطجعة على اريكة طويلة باتجاه بعض الستائر الفينيسية نصف المفتوحة ، محاولة النظر الى الوجه العريض و الودود للسيد جوهر خانه ، اكثر من خطوط النور المضطربة وراءه . لكن بقية الحجرة ، كانت تغشاها ضبابية اما بسبب عدم تجميعي الاشعة في بوءرة واحدة او بسبب عصبيتي . لم استطع ان احدد ذلك . كان يراقبني ثلاثون طالبا وأنا اواظب على اخذ درسي الكردي ثلاث مرات في الاسبوع . وكمتخصصة في مجال اللغويات فقد اعتدت على تحمل مسوءولية تنظيم وتمثيل وتركيب أي لغة يمكن ان احتاجها حرفيا . اما في محطة الاذاعة فقد كنت اشعر غالبا كما لو أني كنت اسحب الكردية من فم استاذي اكثر مما لاحد ما أن يقتلع سنا . كانت هذه الدروس المتعبة جدا تعطى في مكتب مدير اذاعة ريزاي ـ التي بالاضافة الى برامجها الرئيسة بالفارسية ـ كانت ، تذيع برامج اذاعية اخرى بالآزرية التركية ، والكرمانجية والتركية ، والآشورية . وعلى الرغم من أن هذه البرامج كانت تستلزم ضمنا المصادقة عليها لتثبت تسامح طهران تجاه اقلياتها العرقية ، فان بعض الناس كانوا يحتجون على ان اللغات غير القياسية كانت تحول الى فارسية على نحو مدروس في الاذاعات . حتى الناس الذين لم تكن لهم علاقة بالمسائل اللغوية ، ميزوا ذلك الجانب من الموسيقى ،فالبرامج الكردية كانت وعلى نحو رئيسي وسيلة للدعاية التي يستخدمها الشاه .

في أسفل التسلسل الهرمي لمحطة الاذاعة كان الرجل الذي يقدم الشاي يقف منتصبا وساكنا في أبعد نقطة من جوهرخانة في الحجرة ، منتظرا الفرصة ليتقدم نحو المقعد حاملا أكوابا كانت تطقطق فوق أطباقها . أعطى جوهرخانة تعليماته بأن يقدم الشاي الي أولا مع الوجهاء الاخرين في الغرفة وهم يأخذون الشاي بانتظام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حسب أهميتهم ، كان على معظمهم الذهاب بدونه ولكنهم لم يشعروا بالخيبة لذلك بما أنهم كانوا قد اتوا للتسلية وليس لشرب الشاي . كنت أنا نفس المرأة التي كانت قد ذهبت الى المحطة في الاسبوع الماضي مع رسالة تعريف من مدرس ايراني في الكلية . كان السيد جوهرخانه قد اشار بقوة هيئة المساعدين باعلانة انني يجب ان أعلّم اللغة الكردية . لذلك توقفت اقسام اخرى وفي اوقات محددة في ايام السبت ،الثلاثاء ،والخميس وذهب كل واحد الى مكتب مدير المحطة ليراقب ويعطي ويبدي الملاحظات بهمس .

وجدت نفسي ثانية بين الاتراك ألاحق دراستي للكردية ،ولو انه كان يوجد بعض الاكراد . كان السيد اسيابي ، رئيس مجموع المساعدين للبرامج الاذاعية الكردية هو نفسه نصف كردي ونصف تركي . لقد كان رجلا قويا ، معتدا بنفسه ،وذا تسريحة ممعنة في القدم . كان يفضل الكنزات الضيقة ، ذوات العنق الطويل . كان من الواضح انه يستمتع بدور المعلم امام جمهور كهذا . كان يرد اجوبته الدقيقة على كل اسئلتي السمجة عن صيغ الفعل وترجمات مواد المفردات بصوت عال . لقد كان مغرورا جدا وكان يركز على نحو واضح على مايقوم به اكثر من كونه ينقل معلومات ، حيث بدأت مباشرة بالشك بالكردية التي يعلمني اياها . أما السيد جوهرخانه ، مدير المحطة فلو لم يكن تركيا ، لكان معلما أفضل بكثير من السيد اسيابي . في حين أن اسيابي كان ينزع الى الفجر والسفسطة ،فان السيد جوهرخانه ، كان مباشرا ومتحمسا ، متحمسا جدا لدرجة انه في الحقيقة كان يشجع طموحي لتعلم الكردية . وكملك لمحطة الاذاعة فقد اشرف على دروسي ، وكان يبدي تعليقاته لدرجة انه خلص الى نتيجة أني ذكية جدا ، وكان يلفظها " زكية " . كان متأكدا من انني سأكون قادرة على تعلم كل شيء يمكن تعلمه عن الكرمانجية ، اللهجة الشمالية الكردية في أقل من شهرين ، في أي وقت ، وكان يرمي الى أني استطيع ان استمر لاصل الى شيء اكثر تعقيدا وفائدة . وانا من جهتي شككت بأني سأتعلم اللغة يوما ما وأنا اعمل في ميدان كهذا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في احد الايام انشغل السيد اسيابي ببعض الاعمال الاخرى فحدد لي السيد جوهر خانة درسا لآخذه مع اخت السيد أسيابي وهي الشخصية الثانية في التسلسل الهرمي للبرنامج الاذاعي الكرمانجي . كانت حاملا وكان حملها بيد وضخما ، وهي امرأة ذات عينين داكنتين وقد بدت قدرتها على التحدث بالكردية وكأنها قد ضمرت من قلة الاستعمال بسبب من السأم المفرط ، وهي مثل السيد اسيابي نصف كردية ، وبما انها كانت متزوجة من فارسي لذلك لم تكن تستخدم الكردية. وفي المرة التالية التي اتيت فيها الى المحطه بقلوني الى السيد جاهي وقد كان ذا مظهر افضل واكثر كياسة من السيد اسيابي . لقد كان السيد جاهي سريع الحركة ، وحسن الفهم ان تعليم الكردية لم يكن في قمة قائمة الاولويات لديه ولكن بما ان السيد جوهر خانه كان قد كلفه بذلك ، فقد بذل جهدا للاجابة على اسئلتي . كان السيد جاهي ، الرجل الكردي الاكثر فقرا . ذو ثقافة فرنسية وميالا لها اكثر من أي رجل آخر التقيته في الكلية وبدون فوائد الثقافة والتعليم الفرنسي أو " البيجو " كان السيد جاهي يحاول ان يخلف حياته الريفية الماضية وراءه . وكان يحتال ليخدعني بقصصه عن الشرب وهو يحوم ثملا حول المدينة وحيدا ومن المحتمل انه لن يخدع احدا أخر . جلس في مقعده طوال اليوم بقرب الهاتف صارخا " قرباناته " في سماعة التلفون ، وتعني حرفيا اموت من اجلك ، ولكن السيد جاهي يستخدمها على نحو طليق ليظهر لسامعيه كم كان رجلا رائعا ، رحب الصدر .

وأخيرا أعاد علي صبري بالفائدة ، فقد التقيت في المحطة بالشخص الوحيد المهتم بالكردية . وعندما وجد السيد جاهي نشاطات اخرى في المحطة ليشغل وقته بها حولت الى السيد خليلي الذي كان يرغب دائما في ان يكون مدرسي . اقترح مباشرة بأن نغادر مكتب مدير المحطة وان نعمل لوحدنا في الغرفة المجاورة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد اثبت السيد خليلي انه مدرس مذهل بالمقارنة مع الذين سبقوه . فهو لم يكن يهتم فيما اذا تعلمت شيئا صحيحا فحسب ، بل انه كان يحب لغته . كان قد جمع كل انواع الآثار الادبية السرية التي طبعت بالكردية . وموءخرا علمت انه كان يقرض الشعر بالكردية . على الرغم من أن الكردية لم تكن قد ميزت على انها لغة رسمية في ايران او تركيا ، فان عدد الاعمال التي طبعت سريا هناك كانت مثيرة للاعجاب . والكتب الكردية المطبوعة في العراق على نحو قانوني ، كانت تهرب ايضا عبر الحدود ويحرص عليها بغيرة في القرى الايرانية . كان السيد خليلي قد نجح في احراز نسخة لي من ممو زين باخبار احد القرويين بأنه قد فقد النسخة الخاصة به . كان راديو ريزاي يذيع على نحو دوري اشعارا غنائية من هذه الملحمة الكردية العظيمة مع موسيقا مرافقة لها ولكن وكما اشار السيد خليلي لم يكن هناك مجال للتفكير في وضع السمات القومية الخارجية بوضوح وبدون تحفظ . أن ملحمة ممو زين ، هي قصة عاشقين فُرق بينهما على نحو مأساوي كروميو وجولييت ، وهي حقيقة ، قصة رمزية تعبر عن مصير الاكراد المأساوي ، ووحدتهم الممزقة والمستنكرة من قبل الاتراك والفرس وغيرهم ، وكذلك تعبر عن اقتتالهم القبلي الداخلي ايضا . كتب ملحمة ممو زين احمد خاني في القرن السابع عشر وقد اعيد طبعها عدة مرات في كردستان التركية والعراقية والسوفيتية . والكتاب الذين اتوا بعده عالجوا مواضيع تتراوح بين جمال الحب وجمال الجبال الكردية . لكن احدا منهم لم يكف عن ذكر الطموحات القومية الكردية . والكتابة بالكردية هي نفسها عمل يجسد التحدي. فقاموس موسى عنتر الكردي ـ التركي مرفوض من قبل الحكومة التركية ، مثل كتابة "برينا رش" الجرح الاسود ، وهو مسرحية تعرض مرض وموت العديد من القرويين بسبب آخذهم بذورا قد عولجت كيمياويا سلمتها لهم الحكومة .

حاول السيد خليلي ان يعلمني الكردية الاساسية وقد اثارني ذلك في البداية ، ولكني شعرت بالاحباط تدريجيا ، لاني لم استطع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان اتقدم على نحو كاف لاجاريه . لقد ارادني ان اكون قادرة على قراءة الشعر وعلى فهم الكنايات الشعرية العميقة ،بينما كنت لازال اعمل بجد لتعلم تصريف الافعال . لقد درست بعض الكرد في الولايات المتحدة ، ولكن بما انه ليس لكردستان لغتها القياسية الوحيدة ، فهي مقسمة بين اختلافات عديدة في اللهجات ، فكل ماتعلمته من قبل كان عليه ان يحول الى اللفظ المحلي ، وكان لايزال هناك الكثير من الكلمات التي لم اكن اعرفها . كنت اخشى احيانا من أن الصيغ التي علمني اياها السيد خليلي هي ادبية بحتة وانها معرفة مكتسبة من الكتب اكثر مما ينبغي بالنسبة للغة كالكردية . ان اللغة الكردية وعلى نحو اساسي ، هي لغة شفوية وليست لغة مكتوبة ، يتداولها القرويون ، الذين يعبرون بها عن حياتهم اليومية ويستخدمونها على نحو متسم بالابداع في قول النكت ، وتأدية الاغاني ، وسردالحكايات الطويلة . ان الكلمات العربية والتركية والفارسية الدخيلة على اللغة الكردية هي جزء اساسي من اللغة ،تماما كما هي الكلمات اللاتينية والفرنسية بالنسبة للانكليزية لكن السيد خليلي الكردي الوطني كان يحاول دائما ان ينقي لغته التي يعلمني اياها . فهو يستبدل جذور كلمات كردية اصيلة لايعرفها احد سواه بالكلمات الفارسية والعربية التي يستخدمها الآخرون . كنت قد بدأت ادرك انني لو اردت لغة كردية حقيقية وواقعية ، فانه علي الذهاب الى قرية ماوالتحدث مع اناسها هناك . اقترحت هذا على السيد خليلي ولكنه اثناني عنه قائلا اني لست مهيئة لذلك بعد .

بعد ذلك بفترة ليست بطويلة ، قرر السيدخليلي فجأة أن يأخذني الى قرية ما . والآخرون من مساعدي معدي البرامج في ريزاي ، جلسوا يسجلون البرامج ويحتسون الشاي . ويذهبون لمنازلهم في فترة مابعد الظهيرة ، لأخذ وجبات الغذاء المتبوعة بسنات من النوم . كان مطلوبا من السيد خليلي من جهة اخرى ولكونه الرجل الادنى درجة في هيئة المعدين ، ان يقضي كل يوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في قرية يجمع المزارعين في جلسات منعقدة في الهواء الطلـــــــق يتداولون فيها مسائل الزراعة وشؤونها اسبوعيا . بعـــــد أن طلب مني ان اسرع في المجيء ، سألني مشيرا فيما اذا كان جيـــردا سيحضر هو ايضا ، وقد اقلقتني نبرة صوته وتساءلت عما يجب ـ في رأية ـ ان افعله . فانا والسيد خليلي كنا مسبقا نتعرض لنظرات غريبة في المحطة لأن دروسي كانت تعقد في مكان منعزل،عنـــدما عرفته اكثر ، تأكدت انه لم يقض وقتا لوحده مع امرأة ابـــــدا سوى زوجـــاته .

لقد كان جيرد متفرغا ، حيث لم تكن لديه دروس في الكليـــة في اليوم الذي حدد فيه موعد هذه البعثة ، لذلك احضرته معـــي ، بموافقة السيد خليلي المسبقة . كان السيد خليلي وهو مرتد كالمعتاد بذلته السوداء ، وقميصه الابيض مع ربطة عنق سوداء ينتظـــرنا برفقة اخي السيد جاهي ، السائق الرسمي .ولدى ملاحظتي لهيئة السائق العابثة ، سررت لكوني لست وحيدة .

اتخذنا طريقا غربيا خارج المدينة ، طريقا لم نسلكـــه ابدا ، ابعد من قرية باند ، ويمكن الوصول الى مدينه مهاباد التي تقع الى الجنوب منه بوساطة شارع عريض تكتنفه الاشجار حيـــث يتحول الى طريقين فرعيين ، يتعرجان من قرية لاخرى ، امـــا الطريق في الجهة الغربية ، فهو مختلف تماما . مررنا عبـــر وادي باند الخصب ،ولكن مشهد الطبيعه كان مجدبا وشبيها بالصحراء ،وذلك لاننا كنا في تشرين الاول ، النهاية الاخيرة لفصل الجفاف .

فعندما نظرت الى الخارج الى الهضبة المطوقة بالجبال شعرت وكأننا نسافر على وجه القمر ، لهذه الدرجة كان هذا المشهد مختلفا وغريبا عن أي منظر رأيته من قبل . مررنا برعاة اكراد ، كانوا الـــى جانب الطريق ، يحدقون بالتناوب في سيارتنا الجيب وقطعان ماشيتهم. عبرنا عائلات محتشدة ، منتظرة الحافلة الريفيه ، وتقريبا لم نعبر شيئا آخر سوى صخور ، تاركين غيمة ضخمة من الغبار وراء السيارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما نظرت الى الخلف تساءلت ، كيف يمكن لنا ان نجد طريق العودة عبر هذا السهل المجدب بصخوره المتناثرة .

حالما انحرفنا الى الطريق الثانية ، خلال الجبال التي تفصل سهل ميرغاوار المنحني الاول عن سهل تيرغاوار المنحني الثاني ، لاحظت زيادة طفيفة في حجم الخضرة هناك . كانت قرى تيرغاوار الحجرية قد سكنتها قبائل مسيحية لوقت مضى ،حيث كانت قد تقاسمت الجبال والسهول مع الاكراد لفترة من الزمن . كانت تلك هي القبائل الآشورية . وهؤلاء الآشوريون الى جانب الارمن ، كانوا قد اعتنقوا الديانه المسيحية قبل بقية معظم العالم المسيحي بفترة طويلة . لقد عاش الآشوريون في وضع متقلقل مع الاكراد ، لسنوات عديدة ، ولكن الاحداث العالمية ـ كاهتمامات الجيش الروسي الذي احتل ازربيجان تقريبا في فترة الحرب العالمية الاولى والبعثات التبشرية الغربية ـ قلبت غضب جيرانهم المسلمين على رؤوسهم . لايزال قاطنوا بعض القرى الواقعة الى الغرب والجنوب من ريزاي أغلبهم من الآشوريون ، اما سهل تيرغاوار فقد رحل عنه الآشوريون واجبروا على الخروج منه أوذبحوا بطريقة وحشية ، بينما استولى الاكراد على الاشجار والكنائس .

لقد سيطرت قبيلة الهركيين على تيرغاوار ، وهي واحدة من اضخم القبائل في كردستان اليوم وتتألف من حوالي ٣٠،٠٠٠ فرد متوزعين في ايران والعراق . ويقطن جزء من القبيلة هنا في القرى المسيحية القديمة ، بينما يقطن جزء آخر في العراق ،قرب مدينة اربيل " هولير " كما يسميها الاكراد . ولكن وعلى الرغم من انفصالهم الجغرافي ، فقد ظلت المجموعتان متحدتين الى حد بعيد . وفي كل السنوات التي تواجه فيها الجيش العراقي والايراني ، على طول حدودهما المشتركة ، كان قد سمح للهركيين ـ نوعا ما ـ أن يعبروا الحدود ، ليرعوا قطعانهم فيجبال ايران ، كل صيف . بينما كانت قبائل اخرى قد اضطرت الى ان تختار احد البلدين ، او أن تظل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منفصلة الى الابد ،وكان قد سمح للهركيين بالعيش مثل اسلافهم ، يعسكرون فى قرى مستقرة في الشتاء ، وفي الخيم فوق قمم الجبال في الصيف ،غافلين عن الحدود القومية بابتهاج . وقد شهدت تلك السنة التي اتيت فيها الى كردستان انتهاء هذا النمط من الحياة ، حتى بالنسبة للهركيين المتمتعين بالامتيازات ايضا . لقد كان مقدرا على المتمركزين على طول الحدود ، ان ينتظروا بدون جدوى الربيع القادم ذاك المنتظر كبيّنة اولى للقبيلة وقطعانها لتقوم برحلة طويلة ، شاقة من العراق .

على الرغم من أن جميع الاكراد ، كانوا قرويين منذ قرن تقريبا حصلت بعض القبائل على امتياز العيش مثل الهركيين ، في الوقت الذي وصلت فيه الى كردستان ، كان معظمهم قد حجزوا في القرى مع بعض المحظوظين ، دائمي الاستقرار في المدن ، حيث استطاعوا، بفضل تعلمهم ، او حنكتهم ، ان يوفروا لاولادهم مستقبلاً أفضل مما قد توفره حياة القرية . غالبا مايتوقف هوءلاء الاكراد ، واحفادهم عن التفكير بانفسهم ، عندما يتعلق الامر باصولهم القبلية ، ولكن في القرى الايرانية ، لاتزال هذه القبائل كلية القوة ، حيث تهيمن بولائها وتكتلها القبلي اكثر من هيمنة الحكومة الايرانية . يوجد في ايران فقط ،مايقدر بستين قبيلة ، ويتراوح عدد عائلات كل قبيلة بين ٥٠٠ الى ٣٫٠٠٠ عائلة ،وتتفرغ بعض القبائل الاكثر ضخامة الى طوائف او عشائر والعائلة بامتدادها ، هي الوحدة الاجتماعية الاصغر في كردستان والسائدة اكثر من الفرد الواحد . وبعض من القرويين القليلين جدا يعتبرون غير منتمين الى قبائل ، ويدعون بالكرمانج وعندما يحط من قدرهم اكثر يطلق عليهم " دود ي بودي " وهي مرادفة الى حد مالما يدعى عندنا بـ " هوي بولوي " أي " الرعاع " وهوءلاء " الكرمانج " ملازمون للقرى ولمالكي الاراضي كفلاحين او كأقنان . وعلى الرغم من انهم قد يقاتلون من أجل قبيلة معينة فهم لا يرتدون اللباس الخاص الذي يميز قبيلة عن اخرى مثل العمائم الحمراء او البيضاء التي تميز البرزانيين أو الاحزمة الخضراء المميزة " للسياد " المنتيمن لآل البيت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان " الشخ " في كردستان ، هو اللقب الذي يتفرد به رئيس القرية أو العشيرة ، أو القبيلة ، على الرغم من أنه يمكن أن يستخدم بمعناه الاسلامي المألوف على نحو أكبر لقائد ديني . وهناك ألقاب اخرى يستخدمها وجهاء الاكراد مثل : " البك "و " الآغا " و وأصل كلا الكلمتين تركي ، وكذلك اللقب المنغولي " خان " وقد فقد كل من كلمتي " بك " و " آغا " بعضا من صفاتهما المميزة خارج كردستان ، بما أن كلمة " آغا " في ايران وكلمة " بي " في تركيا هما اللقبان المألوفان للرجال ، مثل كلمة " السيد " . وقد حرم رضا شاه ، والد الشاه الاخير لقب " الخان " لأنه اراد ان يكون الخان الوحيد في البلاد . ويبدو ان الاكراد قد تجاهلوا ذلك المرسوم من بين آخرين عديدين ،وهم لايدعون بعضا من قوادهم خانا فحسب بل وعلى نحو مغاير للشعوب الاسلامية الاخرى يلحقونه بأسماء نساء ورجال ممبزين أيضا . لم ابصر سوى المشاهد الصخرية المنتعشة بجدول صغير هنا ، او بقرية او رقعة ارض مشجرة هناك وذلك لجهلي التام بماضي ومستقبل تيرغاوار وكذلك لمعرفتي القليلة بالتسلسل الهرمي للقرى والقبائل الكردية . حتى اني لم اقدّر بدقة تفوق القرية التي كنا ماضين اليها . لقد كانت قرية مانوا ، مركز القيادة الرئيسي لرشيد بك العظيم ، وهو واحد من القواد الهركيين ، في الوقت الذى لعبت فيه هذه القبيلة دورا غريبا ومتناقضا في تأسيس وحل جمهورية مهاباد . وبالطبع فان السيد خليلي لم يذكر لي شيئا من هذا ابدا . كان قد اخبرنا فقط اننا نسافر الى قرية كردية نموذجية حيث سأشاهد وللمرة الاولى كيف يعيش سكان القرى " الاكراد الحقيقيون " وكيف سيكون باستطاعتي التحدث مع النساء وفهم شيء ما عن حياتهن . كنت قد اغرقت في القلق لتخيلي كيفية ردود فعل هوءلاء النساء الكرديات اللواتي تصورتهن طوبلا وهن امامي . كما اغرقت في التساوءلات حتى عن كيفية فهمهن لي ، بكرديتي الفضولية المكسرة ، ولم يخطربالي التفكير بما كان اخو السيد جاهي والسيد خليلي سيفعلانه ببذلتبهما القاتمتين ، وبربطتي عنقهما السوداوين في قرية " نموذجية ، مغبرة ".حتى السفوف المعدنية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البراقة للمستوصف والمدرسة الواقعين خارج مانوا تماما ، لم ينبآني كم كان مُنْعما على هذه القرية على نحو غير مألوف . فكل ظني ان اسباب الراحة هذه متوفرة في جميع القرى . اصيب مضيفونا بالهلع لخلو فناء الدار الذي استقبلنا ونحن نندفع نحو الطريق الداثري الخاص الموعدي الى مضافة رشيد بك الواسعة والمعتمه والى جناح الحريم ، تعلكني شعور متنام بالخوف والقلق حول حشد من الاطفال الرثي الملابس حيث كانوا قد تجمعوا ليحدقوا فينا اثناء نزولنا من السيارة . لقد بدوا فقراء وغريبين جدا . لم اكن أعرف انه حتى اطفال القوات القبليين الاكثر ثراء يتجولون في شباب رثة كصبية مهملين ، تعلو وجوههم المغبرة الملوحة بالشمس طبقة داكنه من الاوساخ . ومن السخرية ان اول ما ادهشني كان فقر وقذارة مانوا التي تعد واحدة من اغنى القرى في كردستان الشمالية . وتحدث الي السيد خليلي بلطف ولكن بصرامة قائلا :

ـ عليك ان تذهبي مع النساء .

نظرت حولي وتساءلت اين يمكن ان يكون مكانهن . وعندما رأيت فتاتين يافعتين مرتديتين بذلتين من الطراز الكردي ،انيقتين وجديدتين الى حد ما ، تقتربان مني وهما خارجتان من احدى البنايات ذات الطابق الوحيد والمواجهة لي . راح السيد خليلي والسيدجاهي يأخذان جيرد بسرعة في اتجاه آخر ، وتُركت لوحدي وقلبي يخفق بشدة . كررتا عبارة " توخير هاتي يه " ـ قدومك سعيد ـ عدة مرات لكي اعرف انه قد رحب بي في منزلهما . ومن ثم اشارتا الي ان اتبعهما الى الداخل ،وصعدنا درجات صخرية خشنة الى الطابق الثاني واخرجت احداهما مفتاحا هيكليا ضخما وفتحت بابا خشبيا غير متقن الصنع .

كانت الحجرة في الداخل مغطرمة بالالوان على نحو متباين مع القاعة الخالية القذرة . وقد ذكرتني الوسادات ومعلقات الجدار واغطية الاسره بالادوات المصنعه يدويا التي رأيتها في مهاباد. ولم تترك حتى واجهة واحدة خالية . وكان لكل من ذراع تدوير آلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخياطة والمذياع المسجل الموضوعين فوق الرفوف على نحو متقاطع مع الحائط اغطية مدروزه . وكان يقبع في احدى جهات الحجرة سرير مزدوج عال مع كومة من اغطية الاسرة المصنعة يدويا ، وفي الجهة الاخرى كانت طاولة زينة منخفضة مغطاة بقوارير عطرية مزخرفة وكانت امرأتان مسنتان بشعرهما الاسود القاتم وبملابسهما الزرقاء مع صداراتهما السوداء جالستين على سجادة بجانب الطاولة . وقد نهضتا عندمادخلت مع الفتاتين وكان قد جرى وراءنا حشد من الاطفال من فناء الدار .

" توخير هاتي يه " قالها الجميع ،وبسرعة قدموا لي صحنا من التفاح العفير وكان يبدو مسوسا . ولشعوري بوجوب تناول بعض منها التقطت واحدة ونزعت قشرتها واكلتها بينما كن جميعهن يراقبنني . وحالما انتهيت من أكلها احضرت احداهن كومة من اللباس وبدون ان ينبهنني ، تجمعن حولي ، وبدون وساطة اللغة استوعبت الفكرة نوعا ما ، لقد كن يردن ان ارتدي زي امرأة كردية فتساءلت بقلق للحظة فيما اذا كان علي ان اخلع بنطالي المخملي الفضفاض وكنزتي ، اللذين ارتديتهما خصيصا للقرية . القت احداهن الفستان الاول الابيض الحريري المذهب فوق رأسي ، كما لو أنه كان جوابا على تساؤلي ،واتبعته ببقية اجزاء البذلة بسرعة . وفي غضون دقيقتين اثنتين كان جسدي قد لف بكاملة بزي كردي . و بعدئذرفعت المرأة قلادة ذات سلاسل ذهبية وحلي صغيرة من حول عنق احدى الفتاتين اللتين رحبتا بي ووضعتها حول عنقي . نظرت الى الاسفل ، الى الذهب متسائلة فيما اذاكانت السلسلة ذهبا حقيقيا ، فقد كان هنالك الكثير منها . وبعد ذلك لففن رأسي بكوفية مزينة الحواف وقد علقت بها خصلات من شعري ، واخيرا حاولن ان ينزعن نظارتي ليكحلن عيني بتلك المادة السوداء المستخدمة على نحو تقليدي في كل انحاء الشرق الاوسط كقلم للعين . عند هذا صددتهن ورفضت ان يجملنني ووضعت نظارتي ثانية ، وقد تنهدن عندما اخبرتهن اني لا استعمل مساحيق التجميل ابدا . واني لا امضي بدون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظارتي ابدا . بعدئذ ادرنني صوب مرآة طاولة الزينة وهن يراقبنني بتلهف ليرين رده فعلي على ذلك .

حدقت في صورتي المنعكسة في المرآة ، شاعرة وكأني في حلم . فمنذ لحظة كنت واقفة في الباحة المغبرة يتفحصني حشد من الاطفال . والآن بدوت كما لواني قد انضممت الى مهرجان من القرون الوسطى ، بالاكمام الطويلة ذات النهايات الدقيقة ،الملفوفة حول رسغي والاغطية الثقيلة التي لف بها رأسي . ولكن وقبل ان اعلق بسخرية حول مظهري ، اخذتني مضيفاتي الى مكان آخر . فامسكت بالاجزاء السفلية من الفستان باحكام لأتجنب التعثر عند نزولنا فوق الدرجات الصخرية . وتحت الشمس المشرقة في الخارج تراجعت الفتاتان الى الوراء وهما تمسكان باوشحة رأسيهما وتسحبان جزءا منه لتغطياه فوق فميهما ، بينما بدأت أنا بالمشي باتجاه جيرد ، حيث كان جالسا على طاولة لعب ورق مع الرجال تحت الاشجار في الفناء .

انحنى لي الرجال احتراما عندما تقدمت نحوهم ، ولكنهم لم ينهضوا . ففي القرى لايقف الرجال للنساء الا اذا كن نساء مهمات جدا والرجال غير مهمين . نظر الي " السيد خليلي مستحسنا لباسي وقد اخبرني جيرد موءخرا ان الرجال كانوا يلمحون له ان مفاجأة قد اعدت له .

كان ذلك من ضمن طقوس ادخالنا الى واحدة من قواعد الضيافة التي يقدمها الاكراد للنساء الغربيات اللواتي يأتين لزيارتهم . حتى النساء الفارسيات من طهران اللواتي كن يقضين عطلتهن في ريزاي كان يكمن لهن من قبل اصدقائي الاكراد في البازار ويوءخذن الى المنزل ويلبسن الالبسة الكردية ومن ثم توءخذ لهن صور . لم استطع ان احدد بالضبط الطرف الذي كان يتسلى اكثر ، الملبّسات ام الملبسات . وبما ان الصور كانت عنصرا اساسيا في هذا التقليد ، فقد اعطيت آلة التصوير لجيرد ليلتقط بعض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصور ، ولكنه عندما دنا من المنزل ، حيث كانت تقف الفتيات ، ابتعدن على نحو عفوي عن آلة التصوير واوشحتهن فوق افواههن . فقلت عائدة الى الرجال ،وسألني السيد خليلي :

ـ هل تقضين وقتا ممتعا ؟

نظرت اليه ومن ثم الى جيرد وبعدئذ الى الرجال الآخرين . هل كنت اقضي وقتا ممتعا ؟ ببساطة كان من المستحيل تقييم أي نوع من الوقت كنت اقضيه . فقد كان كل شيء يحدث على نحو سريع جدا ، وكل ما استطيع ان افعله هو اني اتساءل عما سيفعلونه لي في الخطوة التالية . ولكني بالطبع اخبرت السيد خليلي انني كنت اقضي وقتا رائعا . فابتسم لي بابتهاج . عند ذاك نظر الي جيرد بغرابة ، وتساءلت عن كيفية قضاء وقته . واكتشفت موءخرا ان الرجال كانوا يحاولون اقناعه باتخاذ زوجة اخرى له . وقد احدث العرض حماسا اكثر عندما اخبرهم عن رغبته الشديدة في تعلمي الكردية . فأجابوه برد منطقي الى حد ما وقالوا :

ـ اذا كنت تريد زوجة تتحدث الكردية ، لم لاتأخذ واحدة تعرف اللغة حقيقية ؟ فبامكانك ان تتخذ احدى فتياتنا كزوجة ثانيه لك .

بعد ذلك اوضح لهم جيرد انه من المهم ان تعرف زوجته الانكليزية . واخيرا قال جيرد : انه يجب أن يتصادق مع زوجته قبل ان يتزوجها . وقد اربكهم ذلك ، فالزوجات والازواج الاكراد لايتصادقون ، وخاصة ليس قبل أن يتزوجوا .

في غضون ذلك قررت مضيفاتي اخذي في جولة في القرية ، فأمسكت بآلة التصوير بيد والاجزاء السفلية الطويلة من الفستان بالاخرى على الرغم من انهن كي ينصحنني باستمرار بافلات حاشية الثوب وترك حواف اللباس لتجر على الارض . تجاهلت ما اعتقدت انه عرض مهذب وبقيت ممسكة بالحرير الابيض المذهب ولم اتركه ينسحب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الارض . لم اتصور ان اترك مثل هذه الملابس الجميلة تغطى بالتراب . كان علي أيضا أن افهم جيدا حقيقة ان هؤلاء النساء يرتدين مثل هذه الالبسة كل يوم وانه ليس لديهن الوقت للقلق من هذا التراب القليل . فلا عجب فالقرية برمتها بدت كأنها مغطاة بالطين . ومرة اخرى اشار الفقر والغرابة دهشتي عندما تمشينا خلف المباني الفرميدية الضخمة . حيث تسكن مضيفاتي . هنا في الممرات الملتوية رأيت الاكواخ الطينية المخروطية السطوح ، وافنية دور عميقة وتراءت لي دزينات من العيون تحدق في من وجوه ملوحة بالشمس .

انتشرت الاكواخ المخروطية الشكل بسقوفها القشية على مقربة منا بشكل غير واضح ، وقد رفعت الاجزاء السفلية من اللباس الى اعلى قليلا لأعبر جدولا صغيرا في طريقنا وقادتني مرافقتاي المرتديتان على نحو افضل من كل من كان في الحشد ، قادتاني الى امرأة مسنة فقدت اسنانها ، كانت تنسج على نول غير متقن في الفناء امام كوخها . توقفت امامها وتفحصت تشكيلة الصوف الاسود الخشن وسألت عما يمكن ان يكون .

ـ انه شادر .

جفلت ونظرت حولي . هل أنا لاشرقية لدرجة ان افشل في ملاحظة القرويات وهن يرتدين الاغطية ؟ كانت رؤوس معظم النساء الواقفات على طول الممر مغطاة بالاوشحه فقط ، وليس بينهن من تفع الخمار بطوله الطبيعي الكامل .

ـ شادر ؟

كررت ذلك بصيغة سؤال . رمقتني المرأة بنظرة ، وبدون شك متسائلة فيما اذا فهمت لغتها واضافت :

ـ انه للجبال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعدئذ فهمت ماكانت تريد توضيحه . انه الشادر بمعناه القديم " خيمة " وليس بالمعنى الشائع في المدينة كعباءة .

ان الشيء الوحيد الاسود في كردستان ، بالاضافة الى صدارات بعض النساء ، هو الخيم التي تنصب فوق قمم الجبال عندما يصبح الجو دافئا بشكل كاف في الربيع ، لاخذ الحيوانات الى هناك للرعي .

في طريق عودتنا الى منزل مضيفتي رأيت امرأة حبلى تغزل قطنا فوق مغزل مدلى . لم ترغب في التقاط صورتها ولكن مضيفتي تغلبتا عليها . لقد استفدت من معرفتي القليلة جدا للكردية ، ولكوني جاهلة تماما عادات القرية ، لم أشعر بالذنب حول الفوز بموافقتها المكرهة . ولكن بعد هذا لن اقدر ان اصور نساء غريبات في القرى بهذه السهولة .

على مقربة من المنزل ، مررنا برجل اصلع يقطع الخشب بفأس . كان سعيدا بالتقاط صورة له اثناء مروري واخذي صورة لهذه الشخصيات الغريبة ـ النساجة العديمة الاسنان ، والمرأة الحبلى التي كانت تغزل ، والحطاب الاصلع ، لم استطع التغلب على شعوري بأنني كنت في حكاية من حكايات الجن . صور جميلة ونقوش صغيرة لحياة غريبة أو مضتها أنا ولكن كيف لي أن اعرف اي شيء عن طريقة معيشة هؤلاء الناس ؟ لقد كنت برفقة اميرتي القرية ، وكان بيتهما غريبا الى حد بعيد ، ولكنه كان يحتوي على اشياء مألوفة ، مثل الاسرة وآلات الخياطة ونوافذ قد وضعت على زوايا مستقيمة . ماذا يكمن خلف عتبة الباب الطينية لمنزل تلك المرأة النساجة ؟

بعد جولتنا الى ابعد من اكواخ القرية الطينية ، نظرت الى المنزل الذي كانت مضيفتاي تقطنانه بنظرة جديدة ، فالقرميد الاصفر المصنع ، واطارات النوافذ المعدنية والطابق الثاني ، كلها كانت عادية جدا عندما رأيتها لاول مره . فهناك الآلاف من مثل هذه البنايات في ريزاي ، والعديد منها في حالة أفضل . اما في مانوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقد كانت توجد هناك اثنتان فقط وكانت كل قطعة قرميد أوحديد قد نقلت عبر الممرات الجبلية في طريق ترابية . كان رشيد بك قد بنى هذه المنازل واسكنها بذريه زوجاته وزوجات ابنه أمير خان .

دلفنا الى داخل المنزل من بابه الخلفي ، مارات بزريبة الحيوانات في الطابق السفلي ، وكان من الصعب علي أن أرى آي شيء الى أن رجعنا الى مدخل الدرج حيث توجد فيه نافذة في أعلى الجدار خلعت ملابسي المستعارة بسرعة داخل الحجرة التي كنا فيها من قبل واسترحت من قلق توسيخها ثانية . ومن ثم اخذنا اماكننا في الجلوس متقابلات واخيرا حفظت اسماءهن عن ظهر قلب وبشكل صحيح . كان اسم الفتاة السمراء الممتلئة الجسم شيرين أو"حلوة " بينما كانت بروانه " فراشة " مثل اسمها تماما ، فقد كانت شقراء وبالغة الرقة . بادرت شيرين اصغر الاثنتين بالسؤال قائلة :

ـ هل عندك اولاد ؟

ـ لا .

ـ ولم لا ؟

ـ آه ، لم يمض على زواجي وقت طويل .

ـ اذا سيكون لديك طفل في وقت قريب ؟

سألت وهي تنظر الى بطني .

ـ لا ، لا أظن ذلك .

ـ وكيف تعرفين ؟

جلست متعجبة من كيفية سير المحادثة وبهذه السرعة ، كم كان عمر هاتين الفتاتين ؟ الى أي درجة من التفاصيل تتوقعان ان اعطيهما عن شكل منع الحمل الذي اتبعه ؟ صورت بدقة الحجاب الحاجز وهي حيلة غير معروفة في كردستان الايرانية وحاولت ان استجمع الكلمات لاصفها . واخيرا قالت بروانه وهي تحثني على الكلام :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ هـل تـأخذين حبـوبـا ؟

فأجبتها بالفارسية :

ـ تقريبـا .

وتقريبا تعني حرفيا " على نحو تقريبي " وهي كلمـة عربية تفيد في اعطاء اجوبة غامضة في كل ارجاء الشـرق الاوسـط .

والآن جاء دوري لتوجيه الاسئلة . ولكوني متحفظة فـي السؤال عن الاشياء الخصوصية جدا فقد اقتصرت مواضيعي في الحجـرة على الاسماء الكردية فقط . ولعبنا هذه اللعبة لفترة قصـيرة بنجاحات متفاوته . لقد كنت افهم القليل من الكردية ، على الرغـم من تأكيدهما بأدب ولباقة اني اتكلم لغتهما بطلاقة ، وكانتـا تواصلان التحول الى الفارسية . وبما انهما تابعتا الدراسـة حـتى الصف الخامس فقد كانتا تعرفان القليل جدا عن اللغة القياسية وقـد افترضتا انه بما انني غربية متعلمة ، فأنني سأعرف بالطبـع اللغة الفارسية أفضل بكثير من لغتهما غير المدونة . وقد بدا انني لم استطع ان أُفهمهما ان اللغة التي ادرسها في الولايات المتحـدة هي تلك اللغة الكـردية عديمة القواعد وغير المعتبـرة وانهـا ليست الفارسية .

مضت مضيفتي بدون أي توضيح للتحدث مع الخادمة في الـرواق ، وبعد ذلك دخلت الاخيرة الى الحجرة وهي تحمل طستا معدنيا وابريقـا بلاستيكيا ذا مصب ضيق . واخرجت احداهن قطعة مستطيلة من الصابـون من الخزانة وناولتني اياهـا وعلى نحو غير بارع مددت يدي الـى الامام قليلا ، بينما صبت عليهما الخادمة الماء . بعدئذ ارغيـت يدي بالصابون وغسلتهما برفق مع مزيد من المـاء المصبوب . ومـن ثم جففتهما بالمنشفة .

بينما كانت الفتاتان تغسلان ايديهما ، اوضحت لي بروانـه قائلـة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لدى والدى العديد من هذه .

فحدقت فيها متسائلة : العديد من ماذا ؟ الطسوت والاباريق ؟ قطع الصابون ؟ ولكنها عندما اشارت الى الفتاة التي تصب الماء ، فهمت قصدها . فلدى والدها العديد من الخادمات .

كانت خادمة والد بروانه هي الاولى من بين العديد من الخادمات اللواتي التقيتهن في البيوت الكردية . ومنذ البداية تماما لم أكن استطيع تحديد كيفية تعاملي مع الخادمات . فقد كان يزعجني ان يكون هناك من يقوم بدور الابريق والحنفية أمامي . والخادمات كذلك كن يقضين ساعات في غسل الملابس يدويا ، وينظفن المواد الغذائية ، يخبزن الخبز ، ويقمن بأعمال روتينية مستهلكة . والشيء الذي كان يضايقني لم يكن قساوة حياتهن او عبودية اعمالهن الروتينية فقط ، بل أيضا عدم قدرتي على تمييز الخدم . فقد كانت هذه أيضا مشكلة . ان الخدمة ضمن نظام اقتصادي ، اقطاعي جزئيا وليس ماليا هو شيء جار . وعلى الرغم من ان بروانة قالت ان والدها " يملك " الخدم فقد رأيت في قرى أخرى انه يمكن ان يدعى أي شخص للخدمة في أي وقت ، حسب اقتضاء الموقف والمكانة الاجتماعية للناس المخدومين . فالفلاحين غالبا ماكانوا يقومون على خدمة مالكي الاراضي وعائلاتهم معتبرين ذلك امرا طبيعيا ، وبدون اي اجر نظامي . اما القرويون الذين كانوا يأتون الى المدينة من فترة لأخرى في رحلات قصيرة للقيام بأعمال معينة وكانوا يبقون في منزل الشيخ ، كانوا يخدمون أهل الدار على نحو روتيني . والاكراد الذين كانوا خدما داشمين غالبا ماكانوا يبدون لي كأنهم اعضاء من العائلة ، فقد كانوا يقيمون احيانا في منازل مستخدميهم وكان لباسهم على الاغلب لايختلف عن لباس الذين هم في حالة أفضل منهم . وعلى العكس فان افراد العائلة الحقيقين كانوا يبدون كالخدم احيانا . وزوجات الابناء كن يقمن على خدمة امهات الازواج والاخوات والاخوة ، والاخوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا صغر سنا كن يقمن على خدمة الا خوات الا كبر منهن . وحتى الشيخ الرجل الذى يمثل اعلى درجة في القرية ، يمكن ان يقوم على خدمة اى شخص ، اذا كان ذلك مناسبا . والرحال الاكراد الارستقراطيين المدللون منذ الصغر من قبل النساء والخدم حولهم، كانوا يتحولون الى مضيفين محترمين جدا ومراعين لرغبات ضيوفهم اذا لم يكن هناك احد غيرهم ممن يقوم على خدمة الضيف ، ولكن الخدمة في كردستان هي على نحو رئيسي " ضمن العائلة فقط ". لأنني عندما حاولت ان اجد امرأة كردية مفضلة اياها على امرأة تركية لتعمل في بيتي ، أخبرت ان الكرديات لا يعملن لدى الغرباء .

بعما انني لم اقم بزيارة الى قرية من قبل لم استطع ان اقدر كم كانت الوجبة ممتازة وسخية عندما اعد لنا الغذاء . وحتى لم يخطر ببالي ان اتساءل كيف تتناول مضيفاتي اللحم غالبا ، وما يتعلق بها من القيام بعمل الرعاة وعمليات ذبح الماشية ومشكلة التخزين في مكان ليس فيه ثلاجات وكل ذلك دون ان نذكر مسألة التقطيع والتنظيف . لم يكن طعامنا المطهو يحتوى على لحم الضأن فقط بل أيضا على خضروات منتجة منزليا . وكان هناك ايضا رقاقات بطاطس مقلية على نار غير مكثفة ولا غازية . واخيرا كان الخبز ، حيث كن يبذلن جهدا في خبزه كل صباح ، وكان مصنوعا من الدقيق المطحون في الطاحونه ، التي سمعتها تهمهم عندما تجولت خارج القرية وبالطبع لم يكن لدى العديد من القرى طواحينها الخاصة بها .

بعد اخذ وجبة الطعام حاولت شيرين وبروانه ان توحيا الي أنني تعبة ، وانه علي ان اضطجع قليلا وآخذ قسطا من النوم . ولكنني شعرت انني متيقظه تماما . وبالاضافة الى ذلك لم ادر كيف سأمدد قدمي بلباقة امامهما ، بعد ان كنت قد قرأت في كتاب انه من المعيب جدا في الشرق الاوسط ان توجه قدميك صوب احدما . وبينما جلسنا جميعا القرفصاء على الارض . احدنا مقابل الاخر ، فهمت انهما تتسائلان كيف ستقدمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على تسليتي . لقد اصبح الحاجز اللغوي مضجرا اكثر فاكثر. واخيرا لمعت عندها فكرة تعليمي الرقص . وقفزت بروانه وانزلت المسجلة من فوق الرف،ازاحت غطاءها ووضعت فيها شريط تسجيل . وبينما بدأت المسجلة المحدثة صريرا بالعزف ، شبكت الفتاتان ايديهما وببطء بدأتا بالدوران في الحجرة في أداء رائع من الرقص التقليدي الشرق اوسطي ، والذي يشكل صفا طوليا. لقد كانتا تتوازيان اولا على قدم واحدة وبعدئذ ترتكزان على الاخرى ، ومن ثم تجران القدمين معا على الارض جانبا . ونزولا عند الحاحهما نهضت وحاولت ان اتبعهما . وبعد بضع دقائق من الرقص غير المتقن جلسنا جميعا ثانية . وتساءلت فيما اذا كان ذلك كل مافي الرقص الكردي . بعدئذ بحثتا عن شيء آخر ، فأخرجتا دفتر صورالعائلة ونظرت في الواحدة تلو الاخرى من صور الاكراد العنيدين العبوسين . قلبت الاوراق بادب محاولة ان اكوّن مفهوما ماعن جميع هؤلاء الغرباء ، ولكني كنت افشل . بعد ذلك سألتني شيرين :

٨

ـ هل ستأتين الى حفلة زفاف بروانه ؟

نظرت اليها بفضول محاولة ألا ازيد من آمالي ، فقد كنت قد سمعت عن الاعراس الكردية الخرافية والمبالغ فيها وكنت اتحرق شوقا لأن ادعى الى حفلة منها . ولكني لاحظت أن بروانة قد احمرّت خجلا وتجهمت ملامحها .

ـ أنا لست مقدمة على الزواج .

قالت الفتاة الشقراء وهي تحدق بغضب بقريبتها .

ـ بلى ، ستتزوج .

أكدت لي شيرين .

نقّلت نظري من واحدة لأخرى ، وأنا لاازال آمل نوعا ما في ان هذه الدعوة حقيقية لعرس كردي حقيقي ، ولكني في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفس الوقت شعرت بأنه من المحتمل الايكون هناك عرس اذا رفضت العروس المزعومة ذلك . لربما كان ذلك طقسا آخر من الطقوس والعادات مثل تزييني . كأن يدعون ضيوفا اجانب على سبيل الدعابة الى اعراس لم تدرج في موعد ماللقيام بها .

ـ كم عمرك ؟

سألت الفتاة معتقدة ان ذلك يمكن ان يزودني بمفتاح اللغز فيما اذا كانت بروانه مقدمة على الزواج فعلا أم لا .

ـ أربعة عشر عاما .

كشّرت بروانه ، بينما حثتني شيرين قائلة :

ـ اذا ،ستأتين ؟

فقلت متشككة :

ـ لا اعرف .

في تلك اللحظة ظهرت الخادمة عند مدخل الباب ، فنهضت كلتا هما لدى سماعهما الاخبار بأن السيد خليلي قد دعاني. فبعد كل هذا العناء معي ستقدران على اخذ قيلولتهما لفترة بعد الغذاء . وبعد ان شكرتهما وصافحتهما ، كتبت لهما عنواني في ريزاي على نحو سريع وحثثتهما على زيارتي عندما تأتيان الى المدينة . وكانتا قد اخبرتاني في سياق الحديث انهما غالبا ماتأتيان الى ريزاي . وقد تخيلت ببساطة انهما كانتا حرتين في مغادرة مكان اقامتهما اينما كان، وبالتجول أواخذ سيارة اجرة الى منزلي .

قادتني الخادمة لدى نزولي عبر الدرج الصخرى ومن ثم اشارت الي ان اذهب الى الرجال . ومرة اخرى تفحصتني العديد من العيون الرجالية الجسورة . شعرت بالعدوانية والاحتقار في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحديقهم ، على الرغم من اني لم اكن اعرف بعد انهم قد عرضوا زوجة اخرى على حيرد . وسألني السيد خليلي مرة ثانية فيما اذا قضيت وقتا طيبا . وقفت متوقعة لكل واحد منهم ان ينهض لكي نغادر ، لكن احدا لم يتحرك : فسألت جيرد بالانكليزية :

ـ ألن نغادر ؟

ـ لا أظن . فالسيد خليلي اراد فقط ان يرى كيف كان الحال معك .

حدقت الى الخلف الى مدخل دار الحريم ، الخالي من الاطفال والفتيات في شمس الخريف الحارة . والآن كان علي أن اعود ، لاني لم استطع الاستمرار في الوقوف ، وهؤلاء الرجال يحدقون بي . وببطء مضيت بعيدا صاعدة الدرج لوحدي ، الى أن فتحت شيرين الباب فجأة ناظرة الي بفزع ، فالضيوف في القرية من المفترض ألا يتركوا لوحدهم أبدا .

وبتودد استعدت شيرين وبروانه لتكونا مضيفتي حتى ساعة اخرى أيضا . احتسينا كؤوس الشاي الواحدة تلو الاخرى وحاولنا ان نبقي الحديث متواصلا ، لكن كل واحدة منا شعرت بالراحة ، عندما حضر اخيرا طفل واخبرنا انه قد حان موعد رحيلي . ودعنا بعضنا ثانية ولكن في هذه المرة ، رافقتني الفتاتان طول الطريق نزولا على الدرجات وحتى الخارج لتتأكدا من مغادرتي فعليا . لدى عودتي الى سيارة الجيب التي كانت تلفها غيمة من الغبار تحت أشعة الشمس المحرقة لفترة بعد الظهر تماما ، علمت ان مسجلة السيد خليلي السويسرية الصنع الفاخرة لم تكن تعمل جيدا لتسجيل أي شيء . فبالنسبة له كان اليوم مجرد لهو وتسلية . سألت جيرد .

ـ لماذا بقينا طويلا هكذا ؟

فأجابني :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لقد بقينا لأجلك .

قال السيد خليلي مبتسما :

ـ تعرفين الآن شيئا عن حياة القرية .

أومأت برأسي بلباقة موافقة على ذلك .

كانت مشاهد اليوم قد تجمدت في ذاكرتي مثل صور سينمائية غير مترابطة في فيلم سينمائي غريب . الغبار ، الالبسة البراقة ،المغازل المتدلية ، الاكواخ الطينية ، الوجوه الملوحة بالشمس ، اللبن اللاذع المذاق ، والغبار والغبار والمزيد من الغبار . كنت قد جلست حتى آلمني ردفاي ، محاولة التحدث مع الفتاتين . ماذا كانتا تفعلان في غيابي ؟ ليست لدي ادنى فكرة عن ذلك . لم يخطر ببالي ان اتساءل ، لماذا كانوا يجعلونني اتسلى مع فتاتين في الرابعة عشرة والخامسة عشرة من عمرهما . وقد افترضت انه لابد ان والدتيهما كانتا تقومان بأشياء مفيدة اكثر من تسلية ضيوف اجانب . ولكن اين كانتا ؟ كانت نظرياتي حول مايفعله الناس ـ وخاصة النساء ـ في اوقاتهم لاتزال وعلى نحو ميئوس منه مرتبطة بالولايات المتحدة وببيئة لاتحمل اي صلة بهذه القرية. سألت السيد خليلي في المرة التالية التي رأيته فيها :

ـ هل فعلا بروانه مقدمه على الزواج ؟

نظر الي السيد جاهي الذي لم يكن يتحدث في الهاتف هذه المرة . وضحك بصوت مرتفع للنظرة المندهشة على وجهي وقال :

ـ لقد تزوجت ، في الثلاثاء الماضي . بروانه رمت نفسها في النار .

تصورت العادة الهندية لحرق الزوجة عند المحرقة الجنائزية لزوجها واتضح اني لم اكن بعيدة جدا عن الحقيقة . واوضح السيد خليلي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ نقول : انها القت بنفسها في النار لأنها تزوجت من رجل عجوز . واضاف السيد جاهي مع ضحكة خافته :

ـ رجل عجوز وله زوجتان .

واصلت الوقوف هناك ، مدركة لحقيقة انني كنت ابدو متجهمة جدا وان الرجلين قد كونا مفهوما عني ، على انني نموذج المرأة الغربية الشاذة . والآن عرفت لماذا احمروجه بروانه لهذه الدرجة وقلت :

ـ لقد اخبرتني شيرين ان بروانه مقبلة على الزواج ولكن بروانه نفت ذلك . فقال السيد خليلي:

ـ نعم ، هذه هي العادة . فعلى عرائسنا ان يكن خجولات .

كان والدها هو الذي نظم العرس ، وكان ذلك هو السبب في عدم وجود احد في القرية في اليوم الذي ذهبت اليها ، لقد كانت جميع النساء قد اتين الى ريزاي للتحضير للحفلة .

حدقت فيهم ، متعجبة كيف اني كنت غافلة لهذه الدرجة . لماذا اختار السيد خليلي الذهاب الى مانوا ؟ من كان والد شيرين وبروانه ؟ ولماذا اختار ان يزوج ابنته لرجل عجوز اطرش وله زوجتان ؟

كان ذلك غريبا جدا ، وقاسيا جدا . لم اتصور كردستان مهاباد على هذه الشاكلة ابدا . لقد ظننت أن الاكراد مختلفون ، فنساؤهم لايضعن الاغطية ، ويعملن جنبا الى جنب مع رجالهن . اين هي المفاهيم الديمقراطية لجمهورية مهاباد ؟ .

عدت الى روتين محطة الاذاعة لأدرس مع السيد خليلي حسب البرنامج الذي كنا قد اتفقنا عليه . كان احيانا يذهب طوال اليوم في رحلة يقوم فيها بتحقيقات ميدانية ، وكنت اما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان اتساءل عن سبب عدم اخباره لي اوكنت انزع الى الانزعاج اكثر بسبب عدم دعوتي للذهاب معه أنا ايضا . كان يعطيني المواعيد الغامضة ولكني كنت متأكدة من انه لن يأخذني ابدا ثانية لأجلس مع النساء . هل حصل ان اربكته او ازعجت مضيفاتي في مانوا ؟ فكرت مليا في احداث ذلك اليوم وراجعتها في ذهني متسائلة عن انطباعات شيرين وبروانه عني ورأيهما في .

كانت تصل اكوام من الرسائل الى محطة الاذاعة كل اسبوع. رأيتها متراكمة فوق مقعد السيد اسيابي . وسألت عما تكون تلك . انها اسئلة وتعليقات من المستمعين في القرية . وكلما كانت تتطور كرديتي اكثر ، كنت اصبح اكثر قدرة على متابعة برامج الاذاعة وقد تحققت ان جزءا مهما من البرامج كان ترجمة للاخبار تحضر وتختصر الى العناصر الاساسية خصيصا للاكراد : " ان الشاه هو حاكم عظيم ومجيد " " ان الجيش الايراني قادر على غزو كل الاعداء " " ان البترول سيغني افقر قروي في كردستان " " ابق جهازك موالفا على الاذاعة الكردية واستمع للموسيقا الكردية " وكان العديد من القرويين يضبطون اجهزتهم على الاذاعة ويحتشدون حول اجهزة الاستقبال العاملة بالبطارية التي كانت تعتبر وسيلة اتصالهم الوحيدة بالعالم الخارجي . تساءلت : كم من الاخبار يصدقون ؟ وماذا فعل السيد اسيابي بهذه الرسائل ، لماذا خرج السيد خليلي ليقوم بتحقيقات صحفية في القرية .

كلما كنت اقضي وقتا اطول مع السيد خليلي ، كنت ادرك أن غموضا ما يحيط به . كان رجلا يبدو عليه الاسى على نحو لافت للنظر فقد تراءى على التوالي حزينا ومعتل الصحة اكثر من ذي قبل وخلال السنة التي قضيتها في ايران . وقد اخبر جيرد مرة انه لم ينم طوال الليل وانه قد فقد الكثير من وزنه لانه فقد شهيته للطعام ، وبدت البسته واسعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه وفي بعض الايام بدا اجلده شاحبا كشحوب الموتى . كان في بعض الاحيان يقرأ الشعر ويحكي القصص ويسجلها في مسجلتي ولكي اجعله يتحدث بدون رسميات ، سألته ذات مرة ان يسرد لي حدثا تعرض فيه للموت . وعندما سمع هذا الطلب شحب لونه اكثر مما كان مألوفا وقال : انه لو اذعن لطلبي ، فانه سيضطر الى ان يحيي ثانية تجربة رهيبة لن تدعه ينام لأسابيع .

كان السيد خليلي جادا في مجال عمله . لو انه فقط قد ر على قبول اعادة معالجة الدعاية الحكومية وتحويلها الى الكردية . ولو انه فقط استطاع اعتبار رحلاته الى الارياف كنزهات حيث يمكن فيها ان يبسط اهميته على القرويين ليحوز على عطفهم وعربون محبتهم .

علمت اخيرا من كثرة اصغائي للبرامج الليلية ان السيد خليلي كان من المفترض انه ينشر تعليمات حول الزراعة بوساطة جلسات المناقشة والمداولة التي كان يسجلها على اشرطة تسجيل في مساجد ومدارس القرى . لكن هذه الحملات كانت مثل ذر البذور في تربة الجبال الصخرية والجافة والقاحلة . لم يفكر احد من المسوءولين الحكوميين تفكيرا جادا فعليا ، اوفي توظيف النقود في مسألة كيفية التأثير في هوءلاء الفقراء ليغيروا من اساليبهم الزراعية وينتجوا اكثر . ببساطة كان السيد خليلي الحلقة الاخيرة في سلسلة تنتهي الى لامكان ـ اضحوكة هابطة لسياسات الشاه الزراعية الغامضة . وقد حكى لي انه عندما قبل هذا العمل في البداية ، كانت لدية آمال كبيرة لعمل شيء ما لأبناء بلده . ومجرد التفكير في مفاهيمه السابقة كان يجعله يضحك بمرارة . لقد اشبع غروري ذلك المدى الذي اختاره للبوح عن مشاعره في فترة يكون فيها المرء وبمثل هذه المشاعر قد وقع في موقف خطر جدا . ولكن ربما أن السيد خليلي قد واجه الخطر مسبقا . وربما انه كان قد اعتقل وعذب من قبل . ان تجربة كهذه كانت من الممكن أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توضح قلقه المرعب . ولكنني لم أسأله ابدا ، فقد كان حديثنا مقتصرا على ماهو جار وعلى ماهو محتمل حدوثه في الحرب الكردية الحالية لسنة ١٩٧٤ ، التي تثير التفاؤل .

كلما تحدثت مع الناس في الكلية ، كنت ادرك اكثر ان كل شخص في ايران كان مفعما بالخوف . وكان من النادر ان تجد من يرغب في تداول السياسة . منذ ان فكرت - ولاول مرة - في الذهاب الى محطة الاذاعة ادركت اني سأعرّض نفسي على نحو صارخ للبوليس السري . كان هناك رجل شرطة يحرس باب المحطة وكان واضحا من الاصغاء الى الاخبار المسائية انه لم يكن هناك تفريق بين موءسسة الصحافة والاعلام وبين الحكومة . لقد عرضت نفسي لخطر السوءال عن نوع الرخصة والمصادقة التي قد حزت عليها لدراسة هذه اللغة شبه المحظورة او الا سوأ من ذلك لخطر اعتباري جاسوسه او عميلة قد جاءت لتثير المشاعر القومية بين الاكراد في ايران وكامرأة تعلم الانكليزية في الكلية فقد بدوت غير موءذية بما فيه الكفاية ، ولكن لم يكن هناك ما يدل على ذلك . افترض اني قد خلقت لنفسي عدوا . افترض أن السيد جوهر خان ، التركي ، تضايق جديا مني كأجنبية ارادت تعلم الكردية بدلا من التركية افترض وافترض . لم يكن هناك شيئا محسوسا لاصاب بالقلق بسببه ولكنه سيكون بعد حين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

لقد احتجت الى وقت طويل كي ادرك مدى وضوحي كأجنبية في ريزاي . كنت قد اعتدت على العيش على نحو غير منظور في مدن كبيرة مثل نيويورك . ولكن حتى اقامتي المؤقته لم تهيئني للتفحص الذي سأقاسيه كأجنبية في ايران . ان عدد سكان ريزاي الذي يبلغ حوالي ١٥٠٫٠٠٠ نسمه قد ازداد خلال فترة اقامتي بسبب تدفق الاكراد اللاجئين من العراق . وسط هذه الكثافة من السكان الاصليين كان هناك عدد ضئيل من الاجانب ـ لربما خمسون من الالمان والامريكان والفرنسيين والبولنديين وكذلك بعض الاتراك والمصريين ، الاجانب الاقل لفتا للانظار، بالاضافة الى عدد من الاجنبيات كن زوجات للايرانيين الذين كانوا قد درسوا في اوربا وا مريكا ، وقد لاحظت مباشرة ان جميعهن تقريبا كن يلتزمن البقاء في منازلهن بالقدر الذي يستطعن ذلك ، معتمدات على الخدم او الازواج لتسوق حاجاتهن .

ان امكانية البقاء في المنزل لم تخطر ببالي ، على الاقل لبس خلال الشهور الاولى القليلة في ريزاي . لم تكن لدينا سيارة ، لذلك كنت اذهب كل يوم الى الشارع الرئيسي وانادي مستوقفة سيارات برنقالية ، واذهب الى سوق الفاكهة ، والبازار ومحطة الاذاعة والكلية . وحالما كنت اسير من الزقاق الخالي نسبيا والذي يقع فيه منزلنا الى الشارع الرئيسي ، كانت النداءات تبدأ " مرحبا هيسوز، كيف حالووك " حيث يرجع صداها خلفي حتى بعد ابتعادي لمسافة ليست بقليلة ومضيبي في الشارع . في البداية كنت انظر الى الناس ، وكان معظم الذين يصرخون بي من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرجال والاطفال . كانت اذناي يقظتين لترحيبات محتملة من اصدقاء حقيقيين وحتى النبرات الاقل قربا من الانكليزية وكذلك النظرات الغرامية كان يمكن أن تلفت انتباهي . وبأناة تعلمت المشي بثبات وبدون أن ابتسم أبدا حيث كنت اتغاضى عن سماع أي شيء ، لقد احتلت بأحفاء نفسي داخل غطاء نفساني كثيف جدا لدرجة انه اذا سلم علي صديق ما في الشارع ، وكانت الفرصة متاحة كنت اتجاهله ، واتحقق من انه كان شخصا ما ، اعرفه ، فقط عندما تفوتني الفرصة . وقد حزم مهندس بولندي كان يعمل في احد المكاتب الحكومية في المدينة اني شخصية غير ودودة ابدا ، لانه كان قد القى علي السلام ثلاث مرات في الشارع واني كنت قد تجاهلته في المناسبات الثلاث كلها . لم يكن تجاهل اتصالات غير مريحة متسمة بالطابع الشخصي مع الايرانيين سهلا كتجاهل مضايقات الشارع . فلم نكن من قبل ـ ابدا ـ قد خضنا تجربة نُسأل فيها بصراحة من قبل اجانب فعليين :

ـ كم من المال تكسبون ؟ لماذا ليس لديكم اطفال ؟

فالكثير من الايرانيين الذين تعرفنا عليهم ، كانوا يسألوننا هذه الاسئلة في احاديثنا الاولى معهم . لقد كانوا يطرحون الاسئلة ببساطة لم نكن نعرف فيها كيف سنفهم الناس ان ذلك ليس من شأنهم دون أن نبدو فظين على نحو لايصدق . وبدون أي معرفة تهدينا ، افترضنا انه لابد ان الايرانيين يسألون بعضهم البعض نفس الاسئلة وانهم يجيبون على بعض منها . ان الفارسية هي لغة متطورة جيدا لمعالجة الفروق الضئيلة التي تكاد لاتدرك لكل التفاعلات الاجتماعية . ولسوء الحظ ، اننا لم نكن نعرفها المعرفة اللازمة لأستخدامها لصالحنا ، لذلك فقد كنا نترك معقودي الألسن دائما ، اوكنا نفضي بمعلومات اكثر مما ينبغي بحيث لاتضمن لنا الراحة ، او كنا نهين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سامعينا على نحو سخيف بجهودنا غير الفعالة لنتهرب من اسئلتهم .

ذكرت هذه المشكلة مرة لزوجة المدرس الذي كان قد ساعدنا في ايجاد شقتنا . وقد ادركت مباشرة ماكنت اتحدث عنه وقالت :

ـ نعم الناس هنا " فزوليون " فضوليون جدا .

ان الاتراك يفيضون بأسلوبهم الذي يتحدثون به ويتدخلون في شؤون الآخرين فالطريقة التي يسألونك بها عن أي شيء لا تنم عن اخلاق حميدة على الاطلاق . لقد جاءت مى مشهد ، وهي مدينة تقع بعيدا في الشمال الشرقي من ايران ، وكل الناس الذين تحدثت معهم ممن لم يكونوا من السكان الاصليين بل مضطرين للاقامة فيها ، كانت تكره هذا المكان . فسألتها محاولة ان اتعلم الكلمة الجديدة .

ـ تسمين الناس فزوليين عندما يسألون مثل هذه الاسئلة ، فأجابتني :

ـ نعم .

ـ هل هي كلمة مهذبة ، اعني ، هل يمكنك ان تسمي الناس بتلك الكلمة بدون ان تضايقهم ؟

كنت قد بدأت احذر من قوة معاني الصفات في ايران ، فالاجابة يمكن أن تكون محيرة بالنسبة لامريكية قد اعتادت على قول وتلقي الاهانات العرضية . وقالت :

ـ اذا كان الناس فزوليين ، اذا بامكانك ان تسميهم بذلك . كتبت الكلمة وحفظتها لاستخدام مستقبلي وكررت تلك الليلة المحادثة كلها لحرد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" فزول " كرر حيرد مع نفسه ، متعلما تلك الكلمة التي تصف بعضا من سلوك الايرانيين الاقل استحسانا لدينا .

كنا احيانا نجد نفسينا برفقة ايرانيين كانوا يريدون الحصول على معلومات منا ، وكانوا يعرفون كيف يحصلون عليها بأساليب اكثر دقة واحكاما . لم نكن قد انسجمنا مع السمات الاجتماعية المقبولة والضرورية من اجل البقاء في دولة البوليس . ويدرك بعض الايرانيين حيدا مدى بساطة وجهل الاجانب ـ خاصة الامريكان ـ في مجتمعهم المعقد ، والكثيرون منهم قادرون على استخدامهم هذا الادراك والمعرفة لصالحهم الخاص .

في احد الايام كنا جالسين حول طاولة ، في محل حلويات محلي عندما انضم الينا كردي . قائلا : انه كان صديق حسن ، صديقنا من مهاباد . بطريقة او بأخرى اخبرنا هذا الغريب بذلك بأسلوب لم يخطر فيه ببالنا ان نتساءل مباشرة كيف عرف اننا نعرف حسن . وقادنا صديق الطاولة الجديد الى محادثة استغرقت حوالي عشرين دقيقة ، حيث توجت بدعوة لمرافقته الى منزله . في تلك الايام التي كنا نتلقى فيها القليل من الدعوات وكنا نعرف القليل جدا عن فن المجاملة الايرانية كان حافزنا الاول والغامر هو القبول دائما .

وجدنا نفسينا واقعين في مطبخ منزله الصغير حيث كانت زوجته تعد الشاي واذا به يسألنا مباشرة كل انواع الاسئلة حول حسن . كان كما لو انه قد خدرنا حتى هذه اللحظة ـ حيث هدأنا وتدرج بنا لمطاوعته على نحو غير مشكوك فيه وذلك بدعوته الكريمة ومناوراته الكلامية البارعة . وبعد ان استدركنا نفسينا نجحنا في التخلص من هذه المحنة بعد شرب كأس الشاي المقدم لنا . بعد ذلك اندهشنا لاستغراقنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الوقت الطويل لكي ندرك ان هذا الرجل هو بدون شك عميـــــل للبوليس السري ، ربما لأنه كان كرديا واننا لم نتوقع أن نجـد كرديا في السافاك . ولم نكن نعلـم ان فرع ريزاي كان يترأسه كردي من كرمنشاه كان يُظن انه على علاقات طيبة مـــــــع ارستقراطيي مانوا .

جيراننا الجعفريون هم الوحيدون الذين لم يزعجونـــــا بأسئلتهم ولكنهم كانوا يبدون فضولهم حول مقدار المـــال الذي نكسبه ، ولكن كان من الواضح انهم يكسبون اكثر ممـــا نكسب بكثير ، بحيث ان هذه المسألة لم تكن محرجة عندهـــم مهما يكن ، فلو انهم طرحوا علينا اسئلة ، فمن الطبيعي اننا كنا نشعر بالراحة تماما عندما نسألهم بالمثل . فقد بـــدت العلاقة على قدم المساواة . مرت فترة قصيرة قبل أن ألاحـــظ انهم ينتبهون الى كل شيء نقوم به . فقد لاحظوا ونقـــدوا تكرار مجيء وذهاب الناس الذين كانوا يقومون بزيارتنـــا . ونقدوا حتى النبرة الصوتية المشددة بجرسها المختلف التي كنـت اكتسبها في لغتي الفارسية . وفي أحد الايام انفجرت شهـرزاد بالضحك عندما لفظت كلمة فارسية عامية . فقـالت علـى نحـو متسم بالاتهام :

ـ تخلفين انطباعا لدى المرء بأنك كردية .

لقد كان ذلك صحيحا ، فالكردية والفارسية لغتان قريبتان من بعضهما البعض لدرجة أنه كان من الصعب جدا علي أن افصـل بينهما ، وخاصة عندما كنت احاول تعلم كليهما في نفـــس الوقت . وضحت ذلك شهرزاد ولكنها لم تبد أي تأثر لذلـــك . كان المغزى من ذلك ان النبرة الامريكية مفضلة على النبرة الكردية عند التحدث بالفارسية . وقد جعلني ذلك اشعر بضرورة الانتباه اكثر اثناء التحدث اليها ، ولكني مازلت على عدم شكي فـــي الشعور الودي الذي يكنه الجعفريون نحونا . لم اقدر تقديـــرا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صحيحا ، وبدقة كم كانوا يوجهون نشاطاتي عن كثب ، لأنني لم استطع ان اتخيل انهم مهتمون بي بهذا القدر . لقد كان مجرد وهم من اوهامي انني كنت امضي في ريزاي كشخصية منعزلة في عمل خاص ، غير ملحوظه ولايسخر منها السكان المحليون .

لقد كنت في طريقي لأن اصبح مشهدا غير جدير بالملاحظة في محطة الاذاعة ، حيث ان الشرطي الذي يحرس عند الباب كان يكاد لا يرفع رأسه لدى دخولي . وبما اني الآن لست تحت المراقبة المشددة ، فقد وفرلي ذلك الفرصة للانتباه اكثر للزوار الآخرين . لم تكن الرسائل هي وحدها التي تصل المحطة من القرى الكردية ، بل كان يحضر اليها اناس ومعظمهم من الرجال أيضا . كانوا يتسكعون حول الغرفة التي يجلس فيها أعضاء هيئة معدي البرامج الكرمانجية على مقاعدهم المعدنية ، واعتمادا على اهميتهم الواضحة من لباسهم ، اما انهم كانوا يتجاهلون دوما اويقدم لهم الشاي مراعاة لهم . وبدا ان بعض الرجال المسنين ، بملابسهم الرثة كانوا ينتظرون لساعات واقفين امام السيد اسيابي كي يرفع بصره عن المكرفون او الاوراق ليسمع النماسا ما . وآخرون ذوو البسة حسنه ، قواد قبليون متوسطوا الاعمار ، كانوا يحتكرون محادثة هيئة المعدين لساعات في وقت واحد ، ولكن لغتي الكردية لم تكن جيدة بعد بما فيه الكفاية كي اتابع كلمة كلمة عما تدور حوله هذه الاحاديث . وقد تصورت من وجهة نظر ريفية ان لابد ان السيد اسيابي وحتى السيد جاهي والسيد خليلي انهم يبدون مثل الرجال المهمين قادرين على تقديم كل انواع الخدمات التي لايمكن تصورها .

في احد الايام رأيت رجلا ببذلة رمادية ذات لمعان وعمامة سوداء ، والعديد من التيجان الذهبية فوق اسنانه يجلس في المحطة . وقد تعرفنا الى بعضنا بكلمات مختصرة ومن ثم عاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى حديثه الخصوصي مع السيد اسياسى . وموءخرا التقيت به صدفة مرة ثانية عندما قام السيد جاهي بتوصيلي الى الكلية بسيارته . وقد بدا أن كلاالرجلين قد انتهيا كثيرا لكونهما وحيدين في سيارة مع امرأة اجنبية ، وقد سمعت الرجل ذا البذلة الرمادية يسأل جاهي كل انواع الاسئلة عني . وعندما قاطعته وأجبته بالكردية كان قد اندهش لذلك . فأخبر السيد جاهي وكما لو اني استطيع التحدث ، ولا اسمع :

ـ اذا فهي تتكلم الكردية . اين تعلمتها ؟

واجابه جاهي :

ـ لقد علمها اللغة في امريكا ،كردي من تركيا .

وبدأ عقل الغريب يعمل على نحو سريع وسأله :

ـ هل كان شابا ام فتاة ؟

توقف جاهي ونظر الي . وبما ان الكردية ليس فيها الجنس من حيث التذكير والتأنيث وحيث أن " هو " و " هي " تؤديان بضمير واحد ليس بمذكر ولاموءنث ، لم يكن هناك سبيل لدى السيد جاهي لمعرفة ذلك ، لأني لم اذكر اسم معلمي ابدا .

ولتلهفي للمشاركة بفعالية في المحادثة فقد اخبرتهم بسرعة وبدون تفكير :

ـ لقد كان شابا .

ـ آه .!

واومأا برأسيهما ايماءة ذات مغزى ، لم ادركها في حينها ،ولكن صورة سمعتي كانت قد ثبتت الآن في فكر السيد شيخ زادة ،حيث كان ذلك هو اسم الغريب المتعجرف ـ شيخ زاده ، انه من ذرية الشيوخ ، واتضح مباشرة انه كان قد اتى لمحطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاذاعة هذا اليوم ليدعوا هيئة معدي البرامج الكرمانجية الى مأدبة في قريته . وقد ضمني الآن الى هذه الدعوة بحسن ذوق منه . وقبل ان احييه ، اقحم السيد جاهي كلامه بلطف مفصحا اني متزوجة . وشمل شيخ زادة جيرد ايضا ، على الرغم من أنه لم يصدق اني كنت متزوجة حقا كما علمت موءخرا . وقد قبلت على الرغم من نظراته الخبيثة ، وبعد صمت السيد خليلي المبهم حول هذه النقطة كان علي ان اقبل دعوة من أي شخص كان تقريبا لأقوم فيها بزيارة قرية كردية .

بزغ فجر نهار يوم الوليمة مشمسا وجافا ، تقريبا مثل كل الايام منذ مجيئنا الى ريزاي في ذلك الخريف . وعندما اتجهنا انا وجيرد ناحية محطة الاذاعة ، رأينا العديد من الناس يتنزهون على طول الطريق ، على الرغم من أنه كان رسميا يوم حداد " وفاة " علي ، وهو ولي شهيد من المسلمين الشيعة ، فقد بدا أن كل شخص يستمتع بوقته . لاحظت في المحطة أن السيد اسيابي ينظر الى لباسي نظرة ناقدة ويغمغم لجاهي قائلا :

ـ انظر ، انها تلبس فستانا للقرية ، بينما ترتدي سروالا في المدينة .

بعد تجربتي في مانوا ، حاولت ان احتذي نموذج الملابس الكردية قدر استطاعتي مع ملابسي المصنوعة على عجل وبدون اتقان نسبيا . وقد جمعت بذلتي الكردية المزيفة مع جزء سفلي من فستان طويل وثقيل مطرز الحواف ، وقميص خارجي فضفاض وصدرية محبوكة .

غادرت بنا سيارتان من المحطة الى قرية شيخ زاده ، لأنه بالاضافة الى الهيئة النظامية الموءلفة من ثلاثة رجال كان هنالك قريب لاسيابي واخو السيد جاهي . ولكوننا ضيوفا اجانب فقد دعينا مباشرة وبلباقة للركوب في سيارة اسيابي الاجنبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصنع ،بينما كان على الباقين ان يتحملوا الصدمات في سيارة الجيب . انطلقنا هابطين في احد الطرق الرئيسية في المدينة الى أن بدا الطريق وكأنه اختفى في واد مستو غير محروث ، اومرعى ترتع فيه الاغنام . وبدون التوقف عند هذا المنعطف المتعذر اجتيازه على مايبدو ، انحرف السيد اسيابي الى اليمين وبدأنا بالسير على طول ممر ترابي بجانب بعض الاشجار . ولو اننا لم نسر عليه لما عرفت ابدا انه كان طريقا .

في اطراف المدينة كانت اشجار البساتين تتساقط اوراقها ، وحدائق محروثة قد تركت بدون زراعة لاراحتها ، داخل حدود جدران صخرية منخفضة على جانبي طريقنا . بعد ذلك ظهرت قرى بكاملها ، بيوت طينية محاطة بجدران طينية .

بانت قرية شيخ زاده بعد أقل من ستة كيلومترات من المدينة عبر طريق مستقيم منحدر ومفروش بالحصى على نحو لافت للنظر ،حيث كان يعِدُ بشيء اكثر من القرية الصغيرة ذات الطين الجاف التي التقت بها اعيننا عندما انحرف السيد اسيابي بسيارته الى الطريق الترابي المحدد ، الذي يقع بين الجدران المحيطة بالمنازل .

ظهر كلب الراعي الضخم ، لينبح صوبنا ، وبعدئذ رأينا السيد شيخ زاده نفسه في ممر الباب يبتسم ابتسامته العريضة التي تكشف عن اسنان ذهبية . كان مرتديا على نحورسمي كما كان في اليوم الذي رأيته في المدينة ببذلته الرمادية ذات اللمعان والقاتمة اللون ، وتوقفت سيارة الجيب الممتلئة بالضيوف الآخرين خلف سيارة السيد اسيابي مباشرة . وعندما ترجل الجميع بدأنا محنة عبور ممر الباب بالترتيب المناسب .

وبما اني كنت المرأة الوحيدة الحاضرة بينهم فقد ادخلت انا أولا . كان جيرد المدعو الثاني للدخول ، لكونه ضيفا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجنبيا ،ولكنه رفض متذرعا بسلوك تقليدى تماما ،فبعد وصولنا مباشرة الى ريزاى ، كان جيرد قد أدرك النظام الايراني لفن المجاملة المعروفة بـ " التعارف " أى الشكليات والرسميات وقد وجد في طريقة عدم تقدم طلابه عليه أبدا عبر ممر الباب شيئا مسليا للغاية ، وكان يسر في دفعهم أمامه أولا ليزيد في ارباكهم . كان جيرد قد استوعب بسهولة واحدا من المبادىء الأولية لنظام الشكليات : انه ليس ذا أهمية كم أنت رجل مهم، وكم هو واضح لكل امرىء انه ولهذا السبب عليك أن تكون الأول فواجبك دوما أن تذعن لارادة الذين من حولك . ولسوء الحظ لم يكن جيرد قد تفهم المبدأ الثاني لنظام الشكليات . وهو أنه على كل امرىء في النهاية أن يذهب بالترتيب المناسب . وكان قد فشل أيضا في ادراك الأمور الأساسية والخطيرة لهذا التقليد الفارسي الغريب . فبالنسبة لجيرد كان كل ذلك مجرد لعبة ، أما بالنسبة للايرانيين فنظام الشكليات هذا هو أسلوب في الحياة . وقد كان جيرد هذه المرة وبخلاف ما كان أثناء تواجده مع طلابه ، قليل الخبرة بين ايرانيين اكبر سنا وأكثر خبرة منه وبعد مقاومة ودية قصيرة كان قد أجبر أن يمضي وفق ما يريدون، فجاء بعدي عبر ممر الباب ،وتلاه اسيابي ، الذى تبعه جاهي مع البقية وهم يدخلون في نظام ثابت معروف لديهم فقط . ولكون السيد شيخ زاده هو المضيف فقد كان آخر من مشى .

سرنا كرتل ونحن لانزال في نفس الترتيب عبر الحديقة صعودا على الدرجات الاسمنتية حتى دخلنا منزلا قرميديا . وداخل الرواق المركزي خلعنا أحذيتنا واحدا تلو الآخر وبعدئذ مررنا عبر ممر آخر مؤد الى الحجرة الواقعة على يمين المدخل . جلسنا جميعنا هناك فوق سجادة فارسية مزهرة ذات أرضية حمراء ،ومن ثم جلت بنظرى في أثاث الحجرة . وقد دهشت لدى رؤيتي تلفزيونا وسألت فيما اذا كان في القرية كهرباء . وبما أنهما كانت تقع على بعد ستة كيلومترات فقط من ريزاى ، لم يكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجودها شيئا غامضا ، ولكني كنت قد سمعت ان سياسة الحكومة كانت تمنع الكهرباء عن كل القرى واثبتت قرية شيخ زادة انها ليست استثناء بعد أن اتضح ان تلفزيونه كان يعمل بقوة بطارية سيارة . كان منزله في الشتاء يدفأ بمدفأة تعمل على النفط مع انبوب يرتفع ممتدا الى روافد المنزل المكشوفة . وقد علقت على الحائط صورة عفى عليها الزمن للشاه وزوجته اخت الملك فاروق ملك مصر ، وكان هنالك أيضا صورة اكثر حداثة بكثير للشاه يقدم فيها ما يشبه المكافأة لمضيفنا . تساءلت في نفسي : ماذا كان قد فعل ليستحق عليه ذلك ؟

جلسنا انا وجيرد في احد جوانب الحجرة بينما جلس السيد شيخ زاده وهيئة المساعدين في الجانب الاخر في مواجهتنا . لم تظهر نساء او اعضاء من العائلة عدا فتاة ممتلئة الجسم ، ذات خدين ورديين ، علمت موخرا انها ابنة السيد شيخ زادة . كانت تدخل وتخرج على نحو نشيط ، تقدم الشاي بنظرات مسدلة نحو الارض وبدون ان تتفوه بكلمة امام كل هوءلاء الرجال .

كرس السيد شيخ زاده اهتمامه بي في البداية ،وقد انار شعاعا من ضياء الشمس الساقعة التي كنت اجلس فيها وكنت احدق فيه بعينين نصف مغمضتين ، بينما كان يمتحنني بالسوءال عن المفردات الكردية الواحدة تلو الاخرى . وقد اكتشفت حالا أنه يعمل كناظر مدرسة القرية ، وهوعمل غير عادي لأي كردي قروي . كان يدبر معظم مدارس القرى جنود في الجيش ، ما يدعى بسلك تعليم القراءة والكتابة ، الموءلف من جنود شبان . ان التعليم الجامعي اوحتى تعليم المدارس الثانوية احيانا كان كافيا لتأهيلهم لتعليم اطفال القرية الكتابة والقراءة . ان الفكرة من حيث المبدأ ربما لم يكن يعيبها شيء ، ولكني لم اسمع ابدا ان احدا من الاكراد المهتمين بأمور التربية والتعليم يقدرها . وبما ان المجندين الجدد كانوا قد ارسلوا على نحو مدروس ومقصود الى اجزاء من ايران بعيدة عن المكان الذي نشؤوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه ، لم يكن أحد من الذين عينوا في كردستان يتحدث الكردبة وبالطبع لم يكونوا مدرسين مدربين .لقد بدا ان القروبين كانوا يحتملونهم تسامحا معهم وليس ترحيبا بهم . وحتى انهم كانوا يُقتلون في بعض الاجزاء من ايران . تصورت ان طلاب قرية شيخ زاده يشعرون بأنفسهم كأنهم محظوظون لوجود شخص ذي خبرة مع الميل الواضح نحو علم اصول التدريس لديهم . ولكني تساءلت فيما اذا كان يستخدم الكردية في صفه ام لا .

قاطعنا السيد اسيابي فجأة على نحو نفذ فيه صبره وسط جلسة الاسئلة والاجوبة وقال شيئا بالتركية . ومنذ ذلك الحين استمرت المحادثة كلها بالتركية . كان اسيابي ، شيخ زادة جاهي واخو جاهي ، وقريب اسيابي كلهم يتحدثون بحيوية بلغة لا جيرد ولا أنا كنا نقدر على فهمهم . وبدا ان احدالم يلاحظ ذلك سوى السيد خليلي الذي لم يكن يتفوه بشيء هو الآخر . وكما شعرت بدا متضايقا ، ماذا كنا نفعل في قرية كردية مع مجموعة من الاكراد يتحدثون بالتركية مع بعضهم البعض ؟

وبعد ان تجاهلونا لبضع دقائق ، ادركت فجأة انهم قد شملونا ثانية وتحول السيد اسيابي هذه المرة الى الفارسية ليخاطب جيرد بطريقة بدا فيها متعجرفا وقال :

ـ كم تعطى في كل شهر ؟

اضطربنا انا وجيرد للحظة . اذا كانت المسألة تتعلق بالرواتب ، فالافعال في الفارسية تقلب مضامينها عما تتوقعه من مفاهيمها في الانكليزية ، فالفعل " يعطي " - بعني " يحصل" والعكس بالعكس . وقد صعقت عندما ادركت ماكان يريد معرفته . لماذا كان يريدنا أسيابي ان نحدد رواتبنا امام هيئة الاذاعة كلها في قرية نحن غرباء فيها ؟ شرحت السوءال لجيرد بسرعة وخيم الصمت على الحجرة بينما حدق فينا الجميع ، يتطرون ردا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرنا انا وجيرد الى بعضنا . ماهو الشيء المتوجب قوله ؟ نهض جيرد معترضا ، معبرا عن فكرة فظة على نحو غير سوي بقدر ما كانت تسمح له لغته الفارسية غير المتقنة وسأل :

ـ ماذا تعني كلمة " فزول " ؟

نظرت الى اسيابي وميزت رد الفعل الذي رأيته على وجه موظف الفندق الذي حاول وعلى نحو يعوزه الذوق ان يخدعنا في أول يوم لنا في ريزاي . وكان حيرد قد اجاب على اكاذيب الموظف ببذاءة فارسية معتدلة تعلمها من بعض الطلاب الايرانيين في الولايات المتحدة . وقد شحب وجه اسيابي مثل الموظف تماما . جذبت الي نظر جيرد وعبست في وجهه : لماذا علمته كلمة " فزول ؟ نظر جيرد متحيرا للتعبير المرسوم على وجهي . كان بمقدوره أن يقرأ الغضب عليه ، ولكنه لم يلحظ اي تغيير على وجه اسيابي . لماذا كنت اجهم ملامحي ؟ خيم الصمت المربك للحظات وشعر اسيابي بنظرات مرافقيه الاقل مكانة اجتماعية منصبة عليه ، انه ملزم بالمواجهة بتحد . فقال لجيرد :

ـ أنا متأكد اني اكسب مالا اكثر مما تكسبونه بكثير.

فأجابه جيرد موافقا :

ـ وأنا أيضا متأكد من ذلك .

وبعد ذلك غيّر اسيابي جلسته بحيث لم يعد يواجهنا وعادت المحادثة الى مجراها الطبيعي الى حد ما . ظنت اذناي ولم اعد اعرف فيما اذا كانت المحادثة تجري بالتركية أو الفارسية . لو أن جيرد كان قد استوعب لعبة " التعارف " اسرع مني ، لكانت ادرك مقدار الاهانة بعجلة اكبر . لقد احسست بطريقة مامنذ اللحظة التي دخلنا فيها ايران ان الناس يبدون كأنهم ينتظرون ان يتخذوا موقف الهجوم . فلو انك اهملت إلقاء السلام على البقال عند دخولك المخزن ، فانك تعرض نفسك لعدم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلبية طلبك . واذا لم تسأل عن صحة احد مافقد يظن الناس انك كنت تعاملهم بازدراء . لقد اصبحت اعتبر العديد من الاشياء اللطيفة اسوأ حالا مما هي عليه ولكني تأكدت من شيء واحد منذ اللحظة التي رأيت فيها ملامح وجه موظف الفندق وهو أن الاهانة لايُجنب احراجها بالضحك في هذا البلد .

كان رد الفعل في هذه الحجرة بيّنا بالنسبة لي ـ كان كما لو ان كل شخص حاضر قد احتبس في نفسه . ويتساءل : من اين جاء هوءلاء الامريكان لكي يظنوا انهم يقدرون ان يتحدثوا بهذه الصراحة مع رجل مهم مثل اسيابي ؟ لقد سبق كل امرىء عبر المدخل عدا الضيوف الاجانب . والآن اهانه هوءلاء الضيوف الذين شرفهم . لم نكن نعرف بعد اصل وتاريخ كلمة فضول . ولكن ذلك هو مجرد نقطة تفصيلية . وفي وقت متأخر سيكتشف جيرد ان إخطار خادمتك بأن كلماتها هراء وباكثر الكلمات اعتدالا، سيعطيها مبررا لأن تغادر منزلك حالا وبدون ان تعود اليه ابدا .

استمرت المأدبة بطريقة ما ، وبدىء بتقديم الطعام ،حيث وضعت الابنة طبقا ، ومن ثم تلته بآخر ذي رائحة ذكية فوق الغطاء البلاستيكي الذي كانت قد فرشته وسط ارضية الحجرة . بقيت استرجع في ذاكرتي رد فعل السيد اسيابي على كلمات جيرد . ربما كان ذلك في خيالي المفرط الحساسية فقط . وربما ان غضبه قد زال ، فملامحه لم تكن تسجل شيئا عندما نظرت اليه .

كان من الواضح ان واحدة مامنهن ، ربما (الابنة ؟ الزوجة اونساء لم ارهن ؟) كانت قد امضت وقتا طويلا في تحضير وجبة غنية ومنوعة كهذه . وقد نسيت تقريبا الجو غير المريح عندما حدقت في الدجاج والخضرة المحشوة المحشوة بالارز المعشب، و اللبن المصفى و المخللات ، " والبيلاف " . وقد توقفت المحادثة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندما شرع كل شخص محاولا أن يملأطبقه . عندما بدأت بنزع قطع من اللحم من الفروج المخصص لي وجدت أنني قد نزعت عظم الترقوة .. وفي محاولة لتلطيف الجو خطر ببالي أن أسأل عن لعبة كردية كنت قد قرأت عنها . هلا فعلا يلعبها الناس ، أم أنها كانت شيئا مختلقا من خيال أحد المغامرين البريطانيين؟ سأعرف ذلك حالا .

لمعت عينا السيد اسيابي عندما رفعت العظمة .. جناح ..... سمى اللعبة العديد من الموجودين في الحجرة حالا . وقال السيد اسيابي :

ـ أنا سألعب . بماذا سنعد بعضنا البعض ؟

لم أفهم أنه كان يحاول أن يحدد شيئا نراهن عليه ، ولكن طلب أسيابي مضى غير ملحوظ في فوضى اخباري عن قواعد اللعبة من قبل كل الحاضرين وبدأنا اللعب بدون أن نعرف ماذا سيربح الفائز . ان غرض اللعبة الذى يقدح بمجرد كسر عظم الترقوة من قبل كلا اللاعبين هو أن يناول أحد الشخصين الشخص الآخر شيئا ما وعلى هذا ان يقبله . التقط السيد اسيابي مباشرة قلمي ذا الرأس الكروي الذى كنت استخدمه في تدوين كلمات كردية وحاول أن يناولني اياه . كنت سأقبل ، وبذلك أخسر اللعبة ولكن السيد خليلي ذكرني . وقد أهملت اللعبة بعد محاولات عديدة قام بها السيد اسيابي . حضرت الابنة وقادتني الى بيت الخلاء الخارجي ومن ثم أرجعتني الى الداخل الى الحجرة الواقعة في الجانب الاخر من المنزل . في غضون ذلك بدأ السيد اسيابي بممارسة لعبة جديدة أكثر خبثا مع جيرد . لم تكن هذه لعبة كردية ، بل لعبة ممعنة في القدم كانت تمارس في ايران لقرون عدة . ومما لا شك فيه أن لعبها مع أجنبي مبتدىء مثل جيرد فيها من المتعة المزيد بالنسبة لاسيابي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بينما شرعت ابنة مضيفي باخراج مجموعة من ملابسها لكي ارتدي شيئا منها ، بقي معظم الرجال في الحجرة الاخرى عدا السيد خليلي . وتساءلت موءخرا فيما اذا كانت المناقشة ستكون هي نفسها فيما لو ان السيد خليلي لم يقرر الذهاب في جولة حينذاك حيث بدأ السيد اسيابي بالتحدث وسأل جيرد بدون أي مناسبة للموضوع حالما غادر السيد خليلي :

ـ هل تود المجيء الى منزلي لتدخن بعضا من " الترياق".

حدق فيه جيرد مفكرا : في البدء سأل عن رواتبنا والآن يعرض علينا المخدرات . ان نظريات السيد اسيابي عن الامريكان بدت مقولبة ونمطية كآراء واحد من القرويين الاكثر جهلا وفظاظة . هز جيرد رأسه . قائلا :

ـ لا ، شكرا ، أنا لااهتم بتعاطي المخدرات .

فواصل السيد اسيابي باصرار :

ـ لم لا ؟

تململ جيرد متضايقا . وكان الرجال الآخرون يراقبون كل شيء عن كثب . واجاب ببساطة :

ـ لأن البوليس يمكن ان يأتي .

فقال اسيابي على نحو هادف :

ـ ان البوليس لايأتي الى منزلي ابدا .

تأمل جيرد اسيابي بقلق ، عندما سحب هذا الاخير بطاقة من جيبه وعرضها امام الامريكي ليراها . لقد كانت ضربا من"ID " واعلن اسيابي قائلا :

ـ أنا ضابط في السافاك .

لم ينبس احد ببنت شفة عندما اتضح لجيرد بأن امر ما يجري بطريقة خاطئة . كان السيد اسيابي يعرفه بأعنف طريقة ممكنة انه عنصر من البوليس السري الايراني المرهوب الجانب . ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ تمعن جيرد بوجوه كل الحاضرين . لقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانوا ذوي شخصيات غير واضحة او مميزة الملامح . ماذا كان من المفروض عليه ان يقوله ؟ . لقد بدا ان الموضوع تلاشى بنفس السرعة التي اثير فيها ولكن لو اننا كنا نعرف التحدث بالتركية لربما قضوا بقية فترة الظهيرة وهم يعلقون بطريقة ساخرة منا وكم كنا مغفلين .

خرج الرجال من الحجرة جملة وكان قد انضم اليهم السيد خليلي . حكى لي جيرد بسرعة ماحدث . حينذاك كنت قد لبست بذلتي المستعارة التي لم تكن جميلة مثل البذلة التي اعطوني اياها لارتديها في مانوا . كان ينقصها الجزء الاعلى من مئزر ذهبي والسترة المصنوعة بالماكنة بدلا من صدرية صوفية سوداء . وعلى الرغم من ان شيخ زادة كان الاكثر ثقافة وثراء من أي شخص آخر شاهدته في قريته ، لم يكن على نفس مستوى رشيد بك .

تجولنا على طول الجدار الطيني المهيأ للانهيار ، الذي يحيط بملكية شيخ زادة وقد كانت قطعة ارض جرداء وجافة في هذا الوقت من السنة . وعلى بعد مسافة كنا نستطيع رؤية ريزاي كواحة ممتدة ، وخضرة اشجارها وحدائقها المروية تتلاشى في زرقة البحيرة الواقعة خلفها . لدى تحولنا في حقل شيخ زاده مررنا بنساء يغسلن الالبسة بايديهن في جدول ماء . هبت الريح على تنورتي بحركة خاطفة ، بينما اخذ جيرد صورا لكل الحاضرين ، وقد اراد السيد اسيابي ان يظهر في جميع الصور واندفع شيخ زادة بانتباه الى الامام الى جانب رئيس البرنامج الاذاعي الكرمانجي . كان اسيابي يتصرف بطريقة يعامل فيها مضيفنا بتنازل ، ولكني بعد ذلك لم اشهده يعامل الناس حوله بدون تفضل . ولكنه لم ينجح في جعل جيرد يلتزم بهذه القاعدة التزاما شديدا . فقد حاول اسيابي ان يهين الاجنبي بطلبه معرفة راتبه امام مجموعة من الغرباء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانتهى الى ارباك نفسه . وبالنسبة لرجل مثل اسيابي كان هذا شيئا لايطاق وتساءلت عن المدى الذي من الممكن ان يمضي فيه ليسوي هذا الموقف الجارح .

شعر الرجال بالبرودة حالا ببذلاتهم الغربية الطراز وهم في الخارج في مهب الريح . فذهبنا الى الداخل ، التقط أسيابي فنجانا من الشاي من فوق الطبق وحاول ان يناولني اياه . ولكني رفضت ، فلواني ربحت لعبة " الجناح " فاني سأربح هذا اليوم كله ايضا من اسيابي . ومن ثم اتخذت المناقشة منحى آخر يوجهه أسيابي . فقد قرر هذه المرة أن يناقش مسألة " التعارف " أي الشكليات والرسميات .

ان التعارف ، ذلك النظام الذي قاد كل واحد وفق الترتيب الذي كان عليه ان يطبقه اثناء مروره في الرواق ، هو كلمة فارسية مقتبسة من الفعل العربي " عرف " ان صيغة " تعارف " في العربية تعني شيئا مثل " المعرفة " او " الادراك " بينما اتخذت في الفارسية مضمونا مختلفا نوعا ما ،على الرغم من انها ماتزال تتعلق بمسألة المعرفة بمعنى من المعاني . ان التعارف في الثقافة الايرانية ينتظم كل التفاعلات الاجتماعية عدا تلك التي بين اصدقاء حميمين جدا وبين العائلة . وحتى في هذه العلاقات الاخيرة فباستطاعتك دوما ان تبعدها عن نفسك بالارتداد الى الشكليات . ان التعارف هو طريقة لتنظيم الناس والمواقف مع الحد الاقصى من الكياسة والحد الادنى من التعرض للتجريح والانتقاد واحيانا يشبه الرقص ، في لحظة باردة الى حد اقصى لايتلامس فيها المشاركون أبدا ، ولكن كل شخص منهم يوءدي مهمته على احسن وجه ، على الاقل من على بعد . ونزولا عند قواعد " التعارف " عليك ان تعرض كل شيء على الملأ حتى حياتك الخاصة . وبذلك فان اللازمه التي يتقولها جاهي في الهاتف في مكتبه باطراد ، هي عبارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مأثورة في الشكليات . وكذلك كلمة " بفرمايييد " أي تفضلوا ، هي العبارة التي كانت تستخدمها شهرزاد عندما كانت توجه لي الدعوة للدخول الى شقتها . وفي افضل معاشية يمكن " للتعارف " ان يكون كرم ضيافة غامر ، وعروضا لانهاية لها من الشاي والحلويات وطاولات تئن تحت عرض مجتهد فيه لمزيد من الغذاء الغني . وحسن ضيافة يستمر حتى ساعة متأخرة من الليل طالما ان الضيوف قد اختاروا البقاء. ولامضيف يتشاءب ابدا . والمنعشات لاتنتهي حتى لو ان الخدم واعضاء العائلة اضطروا الى التسلل من خلفية المنزل في بحث صامت عن الغذاء والشراب ليستكملوا نقص ماتم استهلاكه .

ولكن هناك جانب آخر للشكليات وهو الثقل الذي تتضمنه كنتيجة للتلقي . فكل امرىء يرغب في ان يقدم ولا أحد يرغب في القبول . فاذا قال لك احدهم " قرباناته " من الممكن أن تومىء " برأسك بأدب وتقدم نفسك قربانا له بينما ليس لدى احد منكم الشعور الواهي او أي اعتبار للآخر. ففي المبالغة القصوى لمفهوم " التعارف " لاالمقدم نفسه ولا الرافض يعنيان مايقولانه على الاطلاق ، عدا ماتحتويه من مجرد مجاملة بحتة . ربما يقدم لك احدهم وليمة عظيمة بينما لايوجد في بيته سوى الخبز التفه المذاق . وبالطبع ستجيب بأنك قد اكلت لتوك حتى لو أنك تشعر بالجوع وتعوزك النقود لشراء الغذاء .

كان الايرانيون الشباب قد ادعوا ونحن في امريكا أن الشكليات هي مظهر كاذب مهجور ، وانه عائق للصداقة . وقد اخبرنا الاكراد ان عادة الشكليات هذه غير سائدة بينهم. ولكن كان علينا أن نكتشف بأنفسنا الى أي مدي وبأية أساليب ومواقف يمارس الناس نظام الشكليات في ايران.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احيانا كان نفس الذين يستنكرون نظام الشكليات هذا ، هم أنفسهم الاكثر اعتمادا عليه . وعلى ذكر التعارف على جيرد مباشرة :

ـ لايوجد نظام شكليات في امريكا .

وكان يعني بذلك انه ليس مهما من يسبقك عبر الباب ، أن الناس عادة يقبلون الدعوة من المرة الاولى ، لان الامريكان بشكل عام يعنون دعواتهم التي يقدمونها لتواريخ محددة وانهم لايتصرفون بطريقة ايحائية . وفي وقت متأخر وبتقييم صادق من ثقافتنا الخاصة كان علينا ان نعترف بوجود مؤكد لنظام الشكليات في امريكا . وفي المرة الثانية سمعنا امريكيين يقولون :

ـ ببساطة علينا أن ندعوك للغداء .

وعندما عرفنا انهم لم يكونوا عازمين على دعوتنا ادركنا أن الامريكان أيضا قادرون على ممارسة الشكليات ان تعليق جيرد بصدد عدم وجود شكليات في امريكا كان تماما مايريد السيد اسيابي ان يسمعه . ومنذ ذلك الحين بدأ اسيابي وعلى نحو يتفاخر فيه يسبق جيرد خلال الرواق، يأخذ الشاي قبله وبشكل عام يتصرف بنفسه على نحو يبدو فيه كأنه ايراني استثنائي . وفي كل مرة يتجاوز فيها احدى القواعد ، يعذر نفسه بقوله :

ـ لايوجد نظام شكليات في امريكا .

واخيرا وعلى نحو لطيف شارفت نزهات النهار على نهايتها. وقف السيد شيخ زاده في مدخل الباب ليود عنا بامنياته الطيبة بينما اثنى عليه المتحدثون من ابناء بلده لحسن ضيافته ، وقد سمح لي اسيابي ان امر عبرالباب أولا، ولكنه حرص فيما بعد على ان يسبق جيرد . ومرة أخرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجدنا انفسنا في سيارة اسيابي وبما انه كان يقود السيارة فقد نجحت في ان اناوله سيجارة مشتعلة وبذلك ربحت لعبة الجناح هذه المرة .

سأل اسيابي ابن عمه الجالس معه في المقدمة :

ـ ماذا اعطيها ؟

ـ لربما فستانا أو شيئا ما .

ولدى سماعي ذلك ظننت ان الخصومات قد انتهت .

عندما عدنا الى المدينة دعونا كل الحاضرين لتناول الشاي ، وقد قبل اسيابي الدعوة مباشرة واثقا من انه "لاتوجد شكليات بين الامريكان " ولكن تحت تأثير مسحة ايرانية . وقادنا اولا الى دكان معجنات ليقدم لنا الهدية الالزامية لكونه حل ضيفا علينا للمرة الاولى .

كان اسيابي في منزلنا لطيفا وحتى ودودا ولكنه ايضا بدا مزهوا بنفسه وفظا اكثر من العادة . فقد مكث يردد :

ـ لاتوجد شكليات في امريكا . ومن ثم لا يأخذ مسائل الشكليات بعين الاعتبار . وبالنسبة للمعايير الامريكية لم يكن يعتبر غير مهذب ولكنه كان يعتبر فظا للغاية حسب المعايير الايرانية . بقدر مايمكن ان يسعفني التعبير فان اسيابي كان ايرانيا بسلوكه اكثر بكثير من أن يكون امريكيا . ومع ذلك فقد بدا ان اليوم سينتهي على نحو أفضل بكثير مما توقعت ، حيث تقبل اسيابي حسن ضيافتنا وحتى انه جلب لنا علبة من كعك محلى . لم استطع أن أدرك انني كنت لاازال افسر سلوكه حسب ثقافتي الخاصة . وكان الكعك المحلى مجرد ايماءة عن الشكليات . فلربما كان لدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسيابي اسبابه الخاصة ليأتي الى منزلنا الذي لايوقع في النفس شعورا بالرضا والابتهاج . ففي ايران يقبع الشكل على السطح مثل الاغطية التي رأيتها في مطار طهران . أما ما يكمن في الداخل فليس سهلا على الاجنبي رؤيته أبدا .

في المرة الثالية التي قدمت نفسي فيها في محطة الإذاعة أو مأ الشرطي برأسة كالعادة ومُشيت نحو الحجرة التي جلس فيها مجموع معدي البرنامج الكرمانجي . الشيء الاول الذي لاحظته هو كيفية انشغال كل شخص بعملية تنويع للبرنامج كانوا يقومون بها لدفع السأم ، فالسيد اسيابي والسيد خليلي كانا قد غُمرا بالاوراق التي تخصهما ، بينما كان السيد جاهي قد انشغل باستخدام الهاتف . لدرجة ان أحد لم يلاحظ انني كنت واقفة هناك واخيرا انصرف اهتمام السيد جاهي عن الهاتف وقال :

ـ أنا آسف مارغريت خانم ، ولكن السيد خليلي مشغول جدا ولايستطيع العمل معك هذا اليوم .

وفي تلك اللحظة نهض استاذي الكردي النحيف ، ذو النظرات القلقه واندفع خارج الغرفة ، وبصعوبة لمحني عند ما مر بي . تجمد قلبي وحاولت أن الفت نظر السيد اسيابي ولكنه كان مشغول اكثر من الجميع بترجمة اخبار اليوم الفارغة " التي لاأخبار فيها " حيث كان قد اعدها خبراء الدعاية والاعلان في طهران وارسلوها الى ريزاي . من الواضح ان هذا، كان العمل الاكثر اهمية لدى الهيئة الكرمانجية . فقدكان اسيابي يجلس على مقعده وينقل الترجمة شفويا الى المذياع المسجل الضخم ومن ثم ينسخ ترجمته لترسل الى طهران ولتدفق من قبل السلطات .

واصلت الوقوف في المكتب ، غبر واثقة مما سأفعله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الخطوة التالية . وقد كان وجودي هناك وبدون ان يلاحظه أحد تجربة جديدة عليّ . قبل ذلك كان يتواجد دائما صف من الناس المنتظرين الذين يرغبون في لفت انتباهي او يرغبون أن يسألوا سوءالا ماعن الانكليزية أو عن الولايات المتحدة ، يريدون أن يظهروا انفسهم انهم موجودون . والآن صرت أنا الشخص غير المتواجد والموجود . لم اسمع مداعبة او مغازلة أو ترحيبا . اكتسى وجهي حمرة من الارتباك وشعرت بالدموع تلسع جفوني . فبدأت بالمشي صوب الباب ولكن السيد خليلي الذي كان قد عاد من مهمته العاجلة لبضع دقائق مضت ، قال لي :

ـ تفضلي بالجلوس مارغريت خانم .

بعد ذلك قدم لي الخادم كأسا من الشاي . ومربي رجل غبر مهم وحيائي . عندما انتهيت من احتساء الشاي نهضت وغادرت الحجرة دون أن ينتبه الي احد او حتى يرفع احد بصره لينظر الي .

قررت أن اقوم بزيارة اخرى الى المحطة ، لأني كنت مرتابة من قدرتي على فهم الاشياء في ايران . انتظرت عدة أيام لأستجمع شجاعتي وبعدئذ عدت ثانية . ربما كانوا فعلا مشغولين يوم زيارتي لهم . ربما أن بعض التوجيهات قد اصدرت اليهم من طهران اضطرتهم فعلا الى تبني سرعة مكثفة في سير العمل . ربما كنت حساسة جدا . ربما أن كل شخص منهم قد ألفني ولم اعد مركز الانتباه ، فليس باستطاعتي أن ابقى مركز ميدان ثلاثي الحلقات الى الابد .

وفي المرة الثانية لم اخطىء في حكمي على ماكان يجري فقد اخبرتني شخصية ليست أقل أهمية من السيد جوهر خانه ان السيد اسيابي قال ان الهيئة الكرمانجية مشغولة بحيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاتستطيع أن تقدم لي المساعدة في عملي في الكردية . وكـــان السيد جوهر خانه نفسه ودودا ولكنه كان مشغولا . وبـــــدا انه لايحمل أي ضغينة صدي ، ولكن موقفه كان : انه اذا اعتقد السيد أسيابي أني غير مستحقة لوقت أي شخص أكثر من ذلـــك ، فمن المحتمل انه محق في ذلك . على اية حال ، مهما كانـــت مشاعر جوهرخانه تجاه اسيابي ،فانها لم تكن تستحق لديـــــه لحظة يقع فيها في مجابهة معه لأجل امرأة اجنبية تريد تعلم الكردية . ومرة اخرى بدا وكأنه قد قدّر علي الا أتعلم هـــذه اللغة التي اتيت من أجل دراستها من على بعد خمسة آلاف ميل .

بدأت الكآبة والشعور بالاضطهاد يسيطران علي حـــالا فصببت جام غضبي على جيرد حيث اتهمته بالاغراق في الانانيـــة على نحو لايمكن تسامحه في رد فعله لسوءال اسيابي . وبمـــا أن القاء مسوءولية اختلاق الموقف كله على اسيابي كانت بـلا جدوى فقد ألقيت اللوم على زوجي وتساءلت فيما اذا كان سيتعلم التكيف مع الاعراف الاجتماعية الايرانية يوما . والشيء الذي لم اكن اعرفه ،هو أن العضوين الاخرين في هيئة معدي البرنامج الكرمانجي الاذاعي في الحجرة كانا يلقيان باللائمة على اسيابي فقط . وانهما كانا وأساليبهما الخاصة ينتظران الدقيقـــة الملائمة عندما لايكون فيها اسيابي على مقربة منهما لأخباري عن شعورهما الحقيقي .

كان لقاؤ نا الاول مع جاهي ، حيث كان يركـــــــن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيارته في الشارع قرب منزلنا في احد ايام الجمع وقد لمحني مصادفة . صاح ملقيا التحية بصوت عال ولوحت له بيدي وواصلت السير في طريقي عائدة من عند البقال الواقع في الزاوية . ولكن جاهي صاح ثانية :

ـ لماذا لاتأتين لتتناولي الغذاء معي ؟

ـ لا ،شكرا .

صحت مجيبة عليه ، متأكدة من أن الدعوة هي مجرد شكليات ، وانها ليست حقيقية . فسألني :

ـ هل تناولت غذاءك ؟

فأقتربت منه لأجيبه :

ـ لا .

ـ اذا لماذا لا تأتين ؟

سألني وقد بدا وكأنه يعني دعوته حديا .

ـ ماذا عن جيرد ؟

ـ دعينا نذهب ونحضره .

اجاب جاهي بذلك ، تاركا باب مقعد السيارة الامامي مفتوحا . سرنا حول صف من البيوت لنأخذ جيرد ، وتأكدت انه قد عنى دعوته فعلا .

أخذنا السيد جاهي الى النادي الليلي الايراني وقد كان في قمة فتنته وسط تجمع العائلة في وقت الاصيل، حيث يتناول افرادها الكباب والارز مع البيض النيء وفي النهاية أصر على دفع الفاتورة وهذا أمر مقضي في ايران بما انه هو صاحب الدعوة . لقد اشار عدة مرات قائلا : انه قد احب جيرد جيرد كثيرا وذلك خلال الوحبة وثانية عندما رجع بنا الى مسكننا . لقد كانت الرسالة حاذقة ، كما تنزع كل الرسائل الفارسية الى أن تكون كذلك . فبدون ذكر اسياسي ابدا او الاشارة الى الحادث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في قرية شيخ زادة ، عرفنا الآن ان السيد جاهي قد أخـــــذ جانبنـــا .

كان السيد خليلي بالانسجام مع طبيعتة أقل حذقا . فقـد التفيت به مرة وأنا امشي هابطة نحو الشارع المشجر حيث كانـت تقع المحطة . ناداني كي انتظره ، وقال بلين بعدان لحق بي وبعد ان تبادلنا التحيات المطلوبة :

ـ السيد جيرد يقول الحقيقية .

تبادلنا النظرات ، حتى ان السيد خليلي كانت له حدوده فهو لم يكن ينوى أن يصرح برأيه بشكل مباشر بأن اسـيابي كان " فزوليا " فضوليا . وانتهزت الفرصة مع السيد خليلـي وحاولت توضيح ماحدث في قرية شيخ زادة . فقلت :

ـ لقد انزعج اسيابي حقيقة من جيرد لماحدث في القرية وفي الحقيقة لايزال منزعجا حتى الآن . فنظر الي السيد خليلي على نحو بدا فيه متضايقا وقال بهدوء :

ـ لاليس غاضبا منكم .

ـ بالطبع هو كذلك ، فقد دعاه جيرد فضوليا .

وقد عرفنا موءخرا ان كلمة " فضول " التي تعني " نوسي" بالفارسية قد اقتبست من كلمة عربية ترادف كلمة " شيـــت " عندنا وهي كلمة تفيد في التحقير .

ولكن السيد خليلي تجاهل مسألة عدم ملائمة استخدام الكلمة وركز على شيء آخر .

ـ لايقدر أن يتضايق ، طالما انه جاء الى منزلكـــم واحتسى الشاي معكـم .

كان السيد خليلي يشير الى قاعدة كردية من قواعد حســن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوفادة : ضيف في بيتك لايمكن ان يكون عدوك .

مع ان السيد خليلي كان قد امضى عدة سنوات في المدينة فقد كان عقله لايزال في القرية ، مع مجموعة القواعد الكردية التقليدية واسيابي من الجهة الثانية كان قد ولد وترعرع في المدينة ، لقد كان تركيا اكثر منه كرديا .

لم استطع التوقف عن التفكير في اسيابي على الرغم من تأكيدات جاهي وخليلي . لماذا تطرق لنقطة مثل هذه ، كالادعاء انه عنصر من السافاك ؟ . لنفترض انه ملزم برفع تقرير يقول فيه اني جاسوسة وانني دخلت ابران واقيم في ريزاي تحت ذرائع مزيفه ؟ لقد حدد عقدي مع الحكومة الايرانية انه يمكن اقالتي من الكلية مباشرة عند تعاطي عملا منظما ضمن أي نشاط مهني غير تعليم الانكليزية ، ولن يكون هناك سبيل قانوني أو أي أيضاحات حول ذلك .

بدأنا تدريجيا بالتماس آراء الناس الآخرين فسألنا زملاءنا :

ـ هل من الادب واللباقة ان تسأل احد كم يكسب من المال ؟

ـ لا ..

كان ذلك الجواب الاشمل تقريبا .

ـ اذا لماذا يسأل عنه العديد من الناس ؟

ـ لأنهم لايدركون اكثر من ذلك . انهم غير متعلمين .

كان يأتي هذا الجواب مرتبكا قليلا . من الواضح انه لم يكن السبب الحقيقي ، لأن بعضا من هؤلاء الناس المثقفين ، جيدا هم انفسهم كانوا قد سألونا عن رواتبنا . وعلى كل وافقنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس الذين سألناهم على نقطة وحيدة : ان على المرء ان لا يستخدم كلمة فضول ابداً لعنصر من الساقاك . و النتيجة الطبيعية الواضحة التي لم يقلق احد نفسه بتوضيحها بتعابير لا لبس فيها كانت : لا تستخدم كلمة فضول لأي كان ، لأن اي شخص يمكن ان يكون من الساقاك .

بعد البحث مباشرة في مسألة اسيابي ، نزل جيرد و تحدث طويلا مع هوشنغ الجعفري . و قد استنبط كلاهما بعد جهد جهيد اعتذاراً رسمياً للسيد اسيابي و قد كان تقريبا شيئا كهذا : أستميحك عذرا . تعرف اني لا اعرف الفارسية جيدا ، و احياناً لا اعرف ما تعنيه الكلمات ، فقد خلطت الكلمة التي استخدمتها بكلمة اخرى اعتزمت استعمالها ، و لكن اذا كانت قد بدرت مني الاساءة فأرجو ان تسامحني .

أكد جيرد لهوشنغ انه كان يعرف الكلمة ، و قد عنى استخدامها ، و لكن هوشنغ اخبره بحزم ان اي اعتذار آخر غير وارد . و طبعا عرف اسيابي جيدا انها لم تكن غلطة ، و لكن تلك لم تكن هي النقطة المهمة ، بل ان الاسلوب و الشكليات كانت هي المهمة . و لحسن الحظ ، و لاحترام الذات النابع من ثقافتنا لم تتح الفرصة التي تمكّن جيرد من تقديم هذا الاعتذار بسهولة . لم اذهب الى محطة الاذاعة بعد ذلك ابداً ، و لم نصادف اسيابي على الطريق ابداً . و بدأت ادرك ان الاعتذار لن يفيدني في شيء . فقبل الحادث كانت دروسي الكردية قد اصبحت مضللة اكثر مما تكون مرضية ، حتى مع السيد خليلي في غرفة الادارة . فغالبا ما كان السيد خليلي يتغيب على الرغم من تأكيده انه سيحضر في موعده حسب اتفاقنا ، و اتضح لي انه كان متعبا من معدل تقدمي البطيء نسبيا . و قد ازدادت رغبتي في التحدث مع النساء الكرديات كثيرا . نساء لم تتغير لغتهن الكردية بنظريات مزيفة من التعديل . لقد جئت الى كردستان معتقدة أني سأكون الاولى التي تتحدث الكردية ، فبالنسبة لأي شخص مطّلع ، من الجائز ان يلاحظ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان النساء الكرديات يتحدثن بلغة مختلفة تماما عن لغة الرجال . ففي قبيلة هندية أمريكية ، يستخدم الرجال و النساء أشكال نحوية مختلفة و قد صرحت ـ محددة في اطروحتي المفترضة ـ اني كنت مقدمة على المقارنة بين كلام الرجال و النساء . و لكني لم اتحدث مع امرأة عدا اخت السيد اسيابي حيث لم اعد انظر اليها كمكردية حقيقية تماما كنظرتي الى أختيها .

كنت قد بدأت ـ و حتى قبل رحلتنا القصيرة الى مأدبة القرية ـ بطلب المساعدة من السيد خليلي ليجد امرأة متكلمة لأتحدث معها . و لكن جوابه كان اقل مما وعد به . فقد قال :

ـ انا لا أعرف نساء كرديات . ربما كان ذلك الشيء اللبق المحتشم ان يقوله في مجتمع كهذا يفصل بين الجنسين ، و لكن ، كلانا عرفنا ان ذلك شيء مضحك . فالرجل لديه زوجتان و العديد من القريبات . و قد تعجبت اين خبأهن جميعا .

النساء الكرديات يظهرن في الشارع و لأنهن كرديات ، فهن أكثر النساء ظهورا في الشارع . و العديد من القرويات و اللاجئات كن يخرجن سافرات الوجوه ، و لكن حتى هؤلاء كن يظهرن محتشمات ولم يكن يتأنقن على نحو يتفاخرن به . راقبتهن تواقة اليهن اكثر من أي وقت مضى . لن أشعر بالارتياح ابدا في الجلوس في حجرة يملأها الرجال ، و انما في مطبخ احدى هؤلاء النساء . تصورت نفسي جالسة ببساطة و دفتر الملاحظات في يدي ، اتعلم أشياء كثيرة و ليس فقط أشياء عن اللغة . نظرت ثانية الى العائلة اللاجئة التي كانت قد انتقلت الى جوارنا و لكن كانت تعلو وجوههم تعابير كتومة ، لا يمكن الوصول اليها . حيث كانوا يسرعون ذهابا و ايابا في الشارع المشجر بسيارتهم اللاندروفر المضروبة . و كنت أخشى التحدث اليهم .

اتكلت مرة على حسن ضيافة جيراننا الجعفريين . كان هناك امريكيون آخرون في المدينة ، و لكنهم كانوا قد فصلوا رأيهم فينا بأننا منبوذون لأننا لم نكن نقضي لياليا في مركز قيادة الجيش التابع للولايات المتحدة ، نشرب و نشاهد الافلام السينمائية الامريكية . كنا

على الاغلب نمكث وحيدين في الليل نسأم من بعضنا البعض و من فشلنا ، و لكننا كنا نأبى الذهاب الى الامريكيين و اظهار عدم نجاحنا امامهم . و كان الجميع قد اخبرونا انهم قد سئموا من المحاولات الكثيرة لتكوين صداقات مع الايرانيين . و عندما لم يكن البرنامج الكرمانجي ذو الستون دقيقة يُبث ، كنت احاول ان اضبط المذياع على اذاعة (البي بي سي) . و كل الروايات ذات الاغلفة الورقية التي احضرتها معي كانت قد قرئت .

ما كنا نحتاجه هو الاصدقاء . و لكننا كنا لا نزال نلقى صعوبة بسبب الشكليات و ما هو أسوأ من ذلك . اردنا ان نناقش انطباعاتنا و شعورنا عن ايران . و قد بلغنا حداً يائساً بحيث احتجنا الى استرجاع كل ما كنا نقوم به و النظر فيه من جديد .

كنا نتلقى الدعوات و الابتسامات من الجعفريين . و من الايرانيين في الكلية كنا نتلقى الابتسامات ، و قد صعب علينا كثيرا استرجاع ذكرياتنا مع شخص كنا نثق به و نستطيع التحدث معه بحرية ، حيث كنا قد التقينا به منذ مطلع اقامتنا في ريزاي في شهر ايلول و كان يصغي الينا باندماج اكثر من مجرد توزيع ابتسامة ، شخص عرفناه بعيدا عن الجعفريين ، و عن المدرسين في الكلية . و الوقت الذي امضيناه معه كان بعيدا عن اجواء ايران . كان في عالم خاص بنا ، لأننا لم نكن نشعر بالملل مع أسير لمجرد انه بصحبتنا ، و لم نكن نعزل بعيدا كما كان الحال مع معظم الايرانيين الذين عرفناهم . و على الاصح كنا قد سُحرنا من قبل صبي كان قد حبك حولنا رقعة سجرية كردية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

كان امير ، الشاب الفارع الطول ، النحيف الذي اتى من بوكان هو املنا لبلوغ كردستان اكثر من الجعفريين، اكثر من السيد خليلي واكثر من أي شخص آخر كنا قد التقينا به منذ مجيئنا الى ايران . كان امير واقفا قريبا مع الطلاب الآخرين عندما تحدثوا عن كيفية قتل السافاك اخا صديقي المهابادي في امريكا . وكان واثقا من انه قد اغتيل ولكنه لم ينسحب بعيدا عني مثل الاخرين .. بدلا من ذلك وعندما استعد جميع الطلاب وهم يتحدثون بنبرة هادئة ويعبرون عن شكوكهم لبعضهم البعض كان امير قد تبعني الى مكتبي وعرض علي تعلم الكردية ،لهجته السورانية الاصلية (الكردية الجنوبية) ولكنها مع ذلك تبقى كردية . وقد اخبرني انه يعرف قليلا من الكرمانجية (الكردية الشمالية) وانه سيكون قادرا على تعليمي الاختلاف بين اللهجتين . لقد جاء أمير من مدينة كردية تقع جنوب مهاباد واقترح مباشرة انه علي ان اسافر اليها معه والتقي بعائلته . لم يستطع امير التوقف عن الحديث عما سنفعله معا ،كيف سيعلمني الكردية وكيف سيأخذني الى اماكن في كردستان .. حدقت فيه متعجبة ، كيف كان لطالب في السنة الدراسية الاولى من مدينة كردية صغيرة ان يتعلم التحدث بالانكليزية بهذه الطلاقة ؟ ولماذا سعى هو الي بينما تراجع الطلاب الآخرون ؟ .

عندما زارنا امير في بيتنا للمرة الاولى كان ذلك يوم الجمعة ، يوم عطلتنا الاسبوعية . وقد عرض علينا أن يرافقنا الى مهاباد ولكنني كنت مصابة بالتهاب القصبات الهوائية واخبرنا قائلا :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أعرف مهاباد تقريبا مثلما اعرف بوكان .

شعرت بسعادة وانا افكر بالذهاب حالما اسمائل للشفاء . ولكن أمير لم يعدم عرضه ثانية ابدا وذهبنا الى مهاباد برفقة الحفريين .

اعتاد أمير المجيء الى مكتبي ، وهو حجرة معتمة بمقعد ذي غطاء مطاطي ومدفأة داكنة بلون الرماد نعمل على النفط ، قابعة في الزاوية . لم يطرق بابي احد من الطلاب الآخرين ابدا الاعندما كانت تعطى الدرجات ، كانوا يتجاهلون اعلاناتي المتكررة عن ساعات التواجد في المكتب . ولكن اميرلم يكن مثل البقية منذ البداية . لقد كانوا بعديين واحيانا عدوانيين بينما كان هو ودودا ومتحمسا . لم تكن انكليزيتهم تنفع لمحادثة حقيقية بينما كان امير يتحدث بانكليزية لم تكن عامية تماما ولكنها كانت تنزلق بسهولة من فمه . وعلاوة على ذلك كان امير كرديا . كان قد جعل من نفسه مزمار ي المتعدد الالوان لكردستان ، يوما بعد يوم قادني الى مقربة منها وهو يرقص فوق طريق منشور بورود حيالية ويخبرني عن جمال بوكان وعن الشعور الودي لعائلتة تجاه الآخرين ،والاروع من ذلك انه كان يحدثني عن الافكار والتطلعات السياسية للا كراد . اصبح امير جزءا من حياتنا دون أن ندرك كيف حدث هذا . فبا لاضافة الى عرضه لتعليمي الكردية ، كرس نفسه لمساعدتنا في معالجة تعقيدات الاستقرار في ايران . فاذا احتجنا للحصول على شيء من البازار كان يقول انه مستعد للذهاب معنا . انه يستطيع أن يترجم لنا ويرشدنا ، ولكن الاهم من هذا وذاك انه بامكانه أنيقضي وقتا معنا ، ذلك الوقت الذي كان يمضي احيانا على نحو متعاقب بسرعة شديدة ومن ثم ببطء شديد .

فالاسبوع الذي تعلمنا فيه تسوق الغذاء والحاجات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنزلية قضى على كل وقت فراغنا . لم يكن صاحب الدكان احيانا ، ونحن أيضا لم نكن نقدر احيانا على فهمه . وعلى كل حال فان الوقت الذى أمضيناه فى تفحص الاشياء وعدد المشتريات التي قمنا بها كان قليلا . اعددنا جداول ولوائح لأواني التنظيف ، التوابل ، الصابون ، واشياء اعتبرناها من الاساسيات ـ ولكننا لم نستطع أن نجد نصفها . كنا نجد انفسنا فجأة في أيام الجمع عندماكان البارار ومعظم الدكاكين تغلق ، بدون أي شيء نقوم به ، لااحدنزوره او نتحدث اليه . جعل أمير أيام الجمع محتملة او حتى مسليه . فقد تجولنا معه مرة أو مرتين في مركز المدينة ، ولكنه وعلى نحو مألوف كان يجلس ببساطة في منزلنا لساعات ، يقعد في مواجهتنا عن قصد على المنضدة المعدنية ويقشر بعصبية بذور عباد الشمس والبطيخ ولب الفستق ، ويتكلم ويتكلم وكنا نحن أيضا نستجيب لاحاديثه . كان يريد معرفة كل شيء عن امريكا ،وكنا نحن نريد معرفة كل شيء عن كردستان . ماذا يعمل والده ؟ ومثل ماذا كانت مدينته ؟ كم لديه من الاخوة والاخوات ؟ هل هناك مدارس ثانوية في مدينته ؟ ماذا يفعل الناس في الشتاء ؟ ماذا يأمل الناس في مدينته عن الحرب الكردية في العراق ؟

جعلنا نشعر اننا نستطيع ان نسأله عن أي شيءوالفرق بين اجوبته ـ حيث كان بعضها صريحا ودقيقا وبعضها ملتبسا فيه وغامضا ـ كان قد اصبح ضبابيا بسبب افتتاننا بأي شيء يختاره للقول ـ وكان يسر لقول اشياء متطرفة ومبالغ فيها فقد وصف لنا مدينة في الربيع والجبال مكسوة بالزهور ، وقد توقعنا ان نذهب معه الى هناك اما في الخريف أوفي الشتاء واكد لنا ان الحرب الكردية هناك لم تكن على الاطلاق مثلما كنا نفكر فيها . فقد قال :

ـ ان الاكراد لايقاتلون العرب . ان الاكراد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقاتلون الاكراد .

كان يدعو البرزاني ، الشيخ القبلي والقائد العسكري الذي دافع دات يوم عن مهاباد بالامبربالي ، الماشستي الذي باع شعبة للحكومة الامريكية بنفدبمه البترول للامريكان، فعلّه يلقى الدعم للقضية الكردية . قال أمير :

ـ أن الاكراد الحقيقين يقاتلون على الجبهة الثانية واخبرنا انه كان يستمع الى كل محطات الاذاعة التي تذيع بالكردية من ايران والعراق والاتحاد السوفياتي . لقد كان مفتتنا بالاتحاد السوفياتي .

اخبرناه بما كنا قد سمعناه عن الاكراد في امريكا ، فقد قلت له انه حالما يحلني صندوق كتبي الذي ارسلناه بالشحن الجوي من بوسطن ، سأريه ماذا طبع عن الاكراد والكردية في بلدي . بدا أن الساعات كانت تضيق بنا بحيث لم تكن تكفي للتحدث معه بينما كان الآخرون الذين التقيناهم مقلين في الحديث عن السياسة وعن الاكراد ، صامتين في استجابتهم للمشاعر التي كنا نعبر فيها عن كوننا اجانبا ، فقد كان أمير مصدرا للمعلومات ، وردود الفعل والمشاعر . كان يبقى لتناول وجبات غذاء في منزلنا حيث كنت قد يئست من أن احدا من الايرانيين سيحل ضيفا علينا يوما ماعدا زيارة الجعفريين . انتقد طعامنا بصراحة وعلى نحو ظريف . لم اشعر بالاهانة . كيف يمكن أن اشعر بذلك ؟ فاسلوب امير في طرح الاشياء كان رائعا جدا .

ـ كأنك تمضغ علكة ، اليس كذلك ؟

ادلى بملاحظته ،بينما كان يجهد نفسه في طحن قطعة من اللحم المسلوق حيث كنت قد طبختها فقط لثلاث ساعات بدلا من الساعات السبع التي كانت تتطلبها . ضحكنا لذلك ، واخبرنا أن طبخ والدته مشهور ، وسنكون قادرين على تذوقه بأنفسنا بعد أجل قصير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنا ندعو كل ايراني التقينا به عدا هوشنغ وشهرزاد بلقب ، بالاضافة الى اسمهم الاخير . حتى طلابنا ، كنا ندعوهم بالسيد فلان والسيدة فلانه . عندما كنا نتحدث بالفارسية كنا نستخدم الصيغة اللطيفة " انتم " مثل الفرنسية "VOUS "وبما أن امبر كان طالبنا - وحسب فن المجاملة الايرانية - كان من غير الوارد ان يسمينا باسمنا الاول . ولكن عندما التقينا للمرة الاولى لم نكن نعرف ذلك وقد اختار هو ان يتجاهل ذلك فقد بدأ مباشرة بمناداتي بـ " دادا مارغريت " مستخدما اللقب الكردي الحنوبي للاخت ، وكان يخاطب جيرد بـ " كاك" أو الاخ الاكبر . وكنا نحن نناديه باسمه الاول دائما .

لقد بدأت علاقتنا مع امير ضمن شرنقة ، فقد امضينا وقتا معه لوحده بعيدين عن الايرانيين الآخرين . لايمكن ان نقارن احدا مع امير في حميميته ، ربما عدا الجعفريين فقط . كان هذا الشاب يطفح بالحيوية و الحماس برأسه الكبير اكثر من المعتاد وعينيه البنيتين الواسعتين الموءطرتين بأهداب طويلة وكثيفة . اخبرته ذات يوم قائلة :

- اهداب حمبلة .

فأحاني بحدبة مزيلا نظارته عن عينيه لاستطيع روءيتهما بشكل أفضل :

- اوه ، نعم انا مشهور بعيبي في مدينتي .

كانت امه مشهورة بطبخها ، أما هو فقد كان مشهورا بجمال عينيه . لقد كان من وجهة نظر امير ، كل شيء وكل شخص في عائلته و مدينته مشهور . لقد كانت كردستان مكانا سحريا ولم يكن عليه ان يقنعني بذلك . ألم آت من على بعد ٥٠٠٠ميل لأني اعتقدت نفس الشيء ؟

في استعادة للاحداث نجد صعوبة في تحديد سبب وقوعنا تحت سحر أمبر وكيفية حدوث ذلك ، فقد كان عاديا في الكثير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من النواحي ، ومراهقا غير محبوب ، مفعما بالغرور والافكار المحنونة . كنا نعرف انه ببالغ ، وبدأنا ندرك انه كان يتهرب من العديد من اسئلتنا . ماذا يعمل والده ؟ لايجيبنا بالحقيقة ابدا . كيف تعلم الانكليزية بهذه الجودة ؟ بدا انه شيء غير وارد ان يكون قد التقطها من سياح امريكيين يمرون من بوكان على نحو عرضي ، كما كان يدعي . اين كان يسكن امير عندما كان يحضر الى الكلية ؟ لم تتوضح لنا هذه الامور ابدا .. ولكن محادثاتنا لم تتخللها فجوات مربكة . كان الفرق بين امير والجعفريين لغويا وعاطفيا أيضا . فبينما كنا نجهد مع حيراننا بفارسية مكلفة ، كان امير قادرا على ان يصب كل مافي قلبه لنا بالانكليزية . وكنا نحن أيضا بدورنا نفعل ذلك . اخبرناه عن كل شيء عن حياتنا في امريكا عن آمالنا وخيبة آمالنا في ايران ، عن مشاعرنا في البعد والغربة المطلقة عن المشهد الايراني الاجتماعي . وعندما تجولنا معا في الشارع اديت شكواتي من كيفية تحديق الرجال في والنظرات العداوانية المزعجة و الجريئة تلوح في عيونهم. شعرت وكأنهم سيسلبونني ويقتلونني اذا سنحت لهم الفرصة . قال امير انه يفهم ذلك . وتحدث عن الانحراف في الاخلاق بين جماهير الطلبة والطريقة التي تهتف بها الفتيات للشبان في المهاجع ليلا ، وهن يتوسلن اليهم ان يخرجوا معهن .

قال امير مرة :

ـ انه لشيء مثير للاشمئزاز . أليس لهؤلاء الفتيان اخوة ليقوموا بحمايتهن واخبارهن عما هو صحيح ؟

كنا انا وجيرد نتسلى بذلك . فليس هناك ادنى شك في أن امير كان جنسياً ولكن كان فيه شيء مايسمه بالبراءة والعنف الى حد بعيد . حتى انه صرح انه مشمئز من " غوغوش" المغنيه الاكثر شعبية في ايران التي كانت قد ابهجت الآخرين جميعا :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ انها فتاة سيئة بالسلوك الذي ننهجه .

كان ذلك حكمه عليها . تساءلنا انا وجيرد فيما اذا كان كل الشباب الاكراد على هذا النحو من التزمت ؟ .

كان امير شخصا غريب الاطوار ، في وسط الفسق الكامن داخل المظهر الخارجي لكل اللقاءات بين الرجال والنساء في ايران . فقد كان برفض البقاء معي ولو للحظة لوحدنا في منزلنا. فاذا توجب على جبرد ان يخرج من البيت فامير أيضا سيغادر المنزل . ولكن في وقت لاحق وعندما ازداد ادراكي للامور بدأت مناداته لي باسمي الاول تبدو كعلامة على العلاقة الخاصة التي ستوجه اليها الانتقادات في الكلية . واخيرا بدأت النظرات المحرجة تستقر على علاقتنا مع امير . واولها كانت من جانب مدرس في الكلية كان يسكن على مسافة منا في نفس الزقاق وسأل بعد أن رأى امير معنا وهو يخرج من منزلنا :

ـ انتم أصدقاء هذا الشاب ؟

فقال جبرد :

ـ نعم ، نحبه كثيرا .

تفحص المدرس وجه جبرد للحظة وقال :

ـ ان أمثال هؤلاء الشبان خطرون .

فسأله جبرد :

ـ ولماذا ؟

فقال المدرس وهو يلقي نظرة عجلى وغامضة علي :

ـ لأنهم يربدون الكثير من الحب . اعرف هذا الطالب انه يريد كل شخص ان يحبه . مثل هؤلاء الشبان خطرون على النساء .

تخلصنا انا وجيرد من شعورنا بعدم الراحة الذي هاجمنا للحظات بالضحك . عرفنا منذ ذلك الحين ان لا أحد من المدرسين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاخرين يحلم بأخذ أي من طلابهم الى منازلهم . كان الحاجز الاجتماعي بين الطلاب والمدرسين في الكليات الايرانية قائما .

واخيرا عندما وصل الصندوق المشحون من امريكا وكان جاهزا لأخذه من الجمارك بعد وصولنا الى ريزاى بخمسة أسابيع توجهت كالعادة ، الى امير . عزمنا على مغادرة الكلية والذهاب لاحضار الشحنة " وقبل ان نغادر اخبرت اميرا أن جميع كتبي عن الكردية وكردستان كانت داخل الصندوق . نظر الي وخوف غامض يتسلل من نظراته :

ـ لكن السافاك سيصادرون جميع كتبك .

ـ لماذا ، فأنا امريكية ، وبالاضافة الى ذلك لن يعرفوا ماهيه هذه الكتب . انها بالانكليزية .

كان امير يشك في ذلك ولكنه اتى معي كما كان قد وعدني بينما كنت انتظر في الخارج ، أدار احد السائقين سيارته البرتقالية في وسط الطريق امام الكلية واتى مباشرة وبأقصى سرعة باتجاهي . قفزت متقهقرة لابتعد عن طريقه وقدماي تتحركان بخوف وعلى نحو يعوزها الرشاقة في الحركة . ظل امير متسمرا في مكانه . واصدر التاكسي صوتا طويلا وحادا عندما توقف على بعد انشين من المكان الذي كنت فيه . قال وهو يضحك مني :

ـ ما الامر ، دادا مارغريت ؟ هل خفت من محرد تاكسي يجب الاتخافي من الموت . أنا لا اخافه ابدا .

انتظر امير معي في مكتب الانتظار ، بينما قام موظفو التفتيش بفتح غطاء الصندوق ، وقد بدت على وجوههم الخيبة عند رؤيتهم ثمانية ازواج من جوارب جيرد وقد حشرت في اعلى الصندوق . وبسرعة تفحصوا مادونها من الكتب . وبدؤوا بالحديث مع بعضهم بانفعال ، عندئذ تدخل أمير فهدؤوا بعد ذلك مباشرة ، وسلموني قطعة من الورق لأوقع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علىها ثم اعيد الي الصندوق ثانيه . فسألت أميرا :

ـ مادا حدث ؟

ـ ارادوا أن يبعثوا الكتب الى مكتب السافاك لبتفحصوها ولكني احسرتهم انها تخص عملك في الجامعة ، وبذلك فقدوا اهتمامهم بها .

تساوم أمير مع سائق سيارة لنقل الصندوق الثقيل الى منزلنا وقد ساعده السائق على حمله على السلالم عندما وصلنا. كان أمير قد اصر على دفع الاجرة عند ذهابنا ورجو عنا من الحمارك . وعندما غادرنا سائق التاكسي تعقبت أمير وهو ينزل فوق الدرج محاولة ان اضع في يده المبلغ الذي دفعه للسائق . واخيرا نجحت في وضعه تماما في جيب قميصه . حدقت فيه متعجبة من كرمه الزائد هذا . كان امير قد قال لي انه يريد ان يستعير بعضا من كتبي ولكني عندما قدمتها له ، ردها الي قائلا انه يخشى ان تشاهد معه .

ذات يوم وبعد ان جلبنا معا الصندوق بفترة قصيرة ، سمعت امير في مكتب رئيس القسم الانكليزي يوضح : انه لن يحضر الى الصف لشهر او اثنين . ماذا كان ذلك ؟ اصغيت اليهم ولكني لم استطع ان اكتشف سبب ذلك . وفي وقت لاحق جابهته بكيفية قدرته على ترك الجامعة بعد مجرد ستة اسابيع من الدوام في سنته الاولى في الكلية ؟ نظر الي بغموض وقد بدت عيناه الواسعتان اكثر اتساعا بكثير لجديته .

ـ لا استطيع اخبارك ، دادا مارغريت .

ـ لم لا ؟

ـ لا اريدك ان تقلقي .

تناقشنا انا وجيرد حول الموضوع لعدة ايام . ووضعت تصورا بأن امير كان ماضيا للانضمام الى المقاتلين في العراق . الم يتحدث في احيان كثيرة عن كيفية تحقيق رغبته

فيان يكون في المكان الذي يريد ؟ . سألته :

ـ هل انت ذاهب الى العراق يا امير ؟

نظر امير الى الارض بحزن وقال :

ـ لا استطيع ان اخبرك ، يجب الا تعرفي .

ولعدة ايام وكلما كنت اشاهده كنت أساله عن سبب مغادرته وكان دائما يضحك بحزن ويرفض الشحدث عن ذلك . وقد رفض رئيس القسم الانكليزي وهو امريكي معتد بنفسه كان قد نبهني عدة مرات بأن امير " ودود جدا " ، رفض هو أيضا أن يخبرني قائلا بأن امير قد وضح له السبب ولايجوز الافضاء به لكونه مسألة شخصية بحته . تألمت لعدم ثقة امير بي ولكني كنت أيضا مهتمه وقلقة على نحو فظيع . اعتقدت أن امير كان رومانسيا وعنيدا بما فيه الكفايه ليقوم بشيء خطير بالفعل . وفي الحقيقة اقنعت نفسي بأنه ماض للقتال حقا مع " الاكراد اليساريين " ضد البرزاني في العراق .

اخيرا كشف لي عن السبب في مكتبي . لقد كان ذاهبا الى طهران لاجراء عملية في مستشفى ما . فقد كان يعاني من وجود حصى في كليته . سمحت لنفسي هذه المرة ببعض من الشك والارتياب . ولماذا ضخم الموضوع لهذا الحد ؟ لماذا تصرف بهذا الغموض ؟ لقد كان امير قادرا حتى على جعل حصى الكلية تبدو كمأساة سوداء . وصرح لنا في المرة الاخيرة التي قام فيها بزيارتنا قبل ان يرحل :

ـ لا اعرف ماسيحدث لي ، وماذا ستكون نتيجة هذه العملية ؟ فأكدنا له من غير تكلف :

ـ سيكون كل شيء على مايرام .

بدا متألما من ردة فعلنا الخالية من الهم وقال :

ـ انتم لاتعرفون المشافي الايرانية . لاتعرفون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاطباء الايرانيين . فهذه ليست امريكا .

بعد ان غادَرْنا تلك الامسية كان قد نجح في افزاعنا نحن أيضا وتساءلنا فيما اذا كنا سنراه ثانية يوما ما .

حصلت لنا اشياء واشياء في غياب امير ، ولكن أي منها لم يبد حقيقيا تماما . لأنه لم يكن معنا لنناقشها معه . وكما يقولون بالفارسية ، فقدنا طعم الحياة ولذة المحادثة ونشوة الافكار . فهو لم يكن موجودا عندما رجعنا من مانوا اوعندما نبذتني هيئة الاذاعة . واخيرا اصبح فقدان امير ذا اهمية بالغة بسبب عدم وجود احد من الأكراد على الاطلاق ليتحدثوا معي . في الوقت الذي غادرنا فيه أمير، كنا قد اقتنينا اسرّة ، ومنفضة ، كراسيا ، ثلاجة ومدفأة، بالاضافة الى السجادات التي اعارنا اياها هوشنغ . ولكننا كنا لانزال نبحث عن بعض الاغراض في المخازن . لقد كان التسوق بالنسبة لنا نحديا متقدما باستمرار ، حيث كنت اتوق اليه فقط عندما اكون في مزاجي الاكثر استرخاء للتحدث بالفارسية . وحتى بعد ذلك لم يكن من الهزل التواجد لوحدي بين الحشود . فالمارة الذكور كانوا يحدقون في باطراد ، وكانوا سيلمسونني اذا سنحت لهم الفرصة . ولم اغادر دكانا تقريبا دون أن يخامرني شعور بأني قد غششت لأني اجنبية من قبل التاجر هناك . وعندما كانت للمشتريات قيمة اكبر حاولت دائما ان أجد احدا ما من المحليين ليرافقني .

تصرفت زوجة جارنا الذي كان قد حذر جيرد من امير بودمعي . لذلك سألتها يوما فيما اذا كانت ستذهب معي الى البازار لتساعدني في شراء بساط صغير لمناسبة عيد ميلاد جيرد . وقدوافقتني على ذلك . وفي اليوم المحدد للتسوق مضيت مبتهجة الى منزلها ، متشوقة للتجول في البازار برفقة شخص مايعرف ماذا يجري فيه . كنت في مزاج صاف حتى اني لم اكد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاخ. ان نازى لم تكن قد ارتدت ملابسها بعد ، حين وصولي . لعبت مع طفلها وابديت اعجابي بسجاداتها الحمبلة بينما كنت انتظرها لتجهز نفسها . واخيرا ارتدت ثوبا خاصا بالشارع وسترة غليظة . وسلمت الطفل للخادمة وخرجنا من الدار . وبينما كنا نمشي نحو الشارع اخبرتها عن رغبة جبرد الملحة في اقتناء واحدة من هذه السجادات وأي مفاجاة ستكون له عندما يراها . اوقفت سيارة اجرة فجأة وبدون ان تتفوه بشيء بينما كنا في منتصف الطريق الى ساحة المدينة . توقفت السيارة وصعدتها و اوضحت من خلال النافذة ان ليس لديها الوقت لتساعدني بعد كل ذلك . بعدئذ سارت السيارة باتجاه البازار وتركتني مصعوقة الى جانب قناة صرف مكشوفة . لم استطع تخيل ماحدث سوى اننا وقبل ان نغادر كنا نتلقى المضايقات المألوفة من جميع الذكور المتسكعين في الشارع . فشعر ناري المصبوغ بالاحمر وعيناها الخضراوان الطبيعيتان بالاضافة الى فستانها القصير والمقور الصدر على نحو مثير كانوا قد اعدوها لتبدو غربية على نحو مطابق للزي الحديث . من المحتمل ان الرجال حسبوها اجنبية هي أيضا،وقد سألتني متهمة ، تماما قبل أن تفر هاربة:

ـ هل يفعلون ذلك معك دائما ؟

توصلت الى انطباع غير مشكوك فيه انها قد اعتقدت أنها غلطتي ، وانني قد قمت بشيء ما لاشارة المضايقة التي اضطرت للمشاركة فيها .

كنت لا ازال افكر بفظاظة نازي خانم عندما بدأ الجعفريون بالتحدث معنا عن حفلة زفاف يمكن أن تقام ضمن عائلتهم ، فقد كان اخو هوشنغ ، وهو مهندس متوسط العمر، قد انتقى فتاة تبلغ ثمانية عشر عاما من بلدته لتكون عروسا له قبل ان يمضي في رحلة عمل الى اليابان . واثناء غيبته ظنت شهرزاد ان محمود الاخ سيفسخ الخطوبة عند عودته ، مدركا انه يمكن ان يجد أفضل من هذه الفتاة القليلة الاثارة التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من بلده ، وقد لمّحت لي شهرزاد انها مميزة في الدرجة الاولى بشعرها الاشقر فقط . مهما يكن فقد قرر محمود وبمعنويات نعوزها الحبوبة ان يمضي في اقامة مراسيم الزواج وكما قال كان تعبا من المكوث وحيدا في ربزاي . وحالما حدد تاريخ العرس اكد لنا الجعفريون بأننا سنستمتع كثيرا برؤية عرس ايراني ونحن بدورنا عبرنا عن فرحتنا بالدعوة . وقد تمنيت على نحو خاص آلا ينهي موقف العريس الاحتفالات .

على كل حال ، انضح ان كل شيء بهيج جدا واوربي على نحو مدهش ، ابتداء من حمام منزل والد العريس الذي يتفاخر بوجود مرحاض وحوض استحمام افرنجي فيه ، وصولا الى كميات الجن المحظورة والغالية الثمن والتي كانت تسكب بسخاء في كؤوس طويلة لمعظم الذكور وبعض الاناث الحاضرات . بدت العروس الساحرة في ثوب زفافها الاوربي بحواشية الطويلة ، مستمتعة تماما بحفلة عرسها وقد ادت رقصة هز البطن اللطيفة امام الصيوف المجتمعين .

وفي آخر المساء ، احرج رجل شمل جيرد ، فقد طلب منه بانزعاج ان يعرف :

ـ كم تدفع لكم الحكومة الايرانية مقابل عملكم هنا ؟ انتم امريكيون اغنياء . نحن لانحتاج اليكم .

بقي الرجل ممسكا بمرفق جيرد الى أن اتى هوشنغ واجبره على أن يقدم اعتذاره . واوضح قائلا :

ـ لم يكن يعرف مايقوله .

أومأنا برأسنا بالموافقة على ذلك ، وقد ابدينا اللباقة ظاهريا ولكننا كنا مرتابين في داخلنا . فهذه حالة من غياب الوعي والشمالة الحقيقية .

حتى تلك اللحظة كنا نشعر بالترحاب في حفلة الزفاف، فكل شخص كان يعتني بنا بافراط ، يقدم لنا الغذاء و الشراب،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأتي لنتحدث معنا ، ويبتسم لنا باستمرار ، فهجان الرجل الثمل لم يفسد أمسيتنا ولكنه جعلنا ننساءل عما كان يدور في فكر هوءلاء المبتسمين جميعا . فكلما طال بقاوءنا في ايران كنا نتعلم النظر الى ماوراء الابتسامات اكثر . ولكن لم يكن امبر هناك لنناقش معه هذه الحوادث التي تثير الكآبة في النفس . لم يكن هناك مجال لننظر في امر احتمال ارسال السيد اسامي تقريرا عني للساواك .لم نكن لدينا وسيلة اختبار ما او موجّهة صوت ، ولاطريقة نشرح فيها صدورنا من تراكم اضطراباتنا واحزاننا وسوء فهمنا . فقد كنا أنا وحيرد قد حجزنا في زنزانة نفسية مع بعضنا البعض ، ولم تكن علاقتنا تنمو ضمن عزلتنا هذه .

في نهاية احد الشهور ارسل البنا امبر رسالة حارة من منزل لاقاربه في طهران . وقد اجبت عليها مباشرة ،واخبرته عن مدى افتقادنا له ، وعن الاشياء التي حدثت لنا ، وعن حاجتنا للتحدث معه . وبعد عدة اسابيع وقبل حلول الشتاء والمطر كان امير يقف تحت ضوء الشمس عند مدخل ساحة دارنا .

" أمبر " صرخت وعانقته وانا اعرف ولكن بدون أن اهتم بأن الرجال والنساء لاينعانقون امام الناس ابدا في ايران ولابتعانقون في أي مكان آخر اذا لم تكن بينهم صلة قرابة قريبة جدا ،أما بالدم او بالزواج . نزل حيرد على السلالم وعانقه هو أيضا .

كان اجتماعنا الثاني في فترة الغذاء ولكن لم يكن لدينا الوقت الكافي لنتفوه بكل شيء كان يجول بفكرنا . فقد كان علينا جميعا ان نعود الى الكلية لنراه فيها. والآن وقد عاد امير ،شعرت بأن كردستان بكل رومانستها وامكانيتها يمكن أن تفتح صدرها لي .

بعد انقضاء ليلتين على عودة امير من طهران . جاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليتناول الطعام معنا . كان اللحم هذه المرة قد نضج تماما . كان كل شيء معد احسب الذوق الايراني لأننا في غباب امير كنا قد استأجرنا رجلا تركيا ممتازا لطبخ لنا ثلاث مرات في الاسبوع فقد اعتقدنا بأننا بهذه الطريقة يمكن لنا ان نستقبل ضيوفا ايرانيين بدون ان يصاب بخيبة روءية الغذاء دون ان يمسسه احد. بينما بدأنا انا وعزيز نوضع الاطباق فوق الطاولة اتى امير الينا وسأل :

ـ هل سيتناول عزيز الغذاء معنا ؟

نظرت الى عزيز مضطربة وقد بدأ الشعور بالاثم بالنفاذ الى قلبي المتسامح .

ـ لا ، انه لايفعل ذلك ابدا .

ـ اذا سأطلب منه ذلك . هل انت موافقة على ذلك ؟

ذلك ما قاله طالبي وهو يذهب الى المطبخ خلف عزيز بدون أن ينتظر ردي .

ـ طبعا أحبته بفتور .

جلس عزيز المضطرب والخجول معنا على الطاولة وتظاهر بتناول شريحة من اللحم والسلطة . انه يعرف أمير من الكلية حيث عمل عزيز لايام في مطعم الطلاب ، حسب القواعد الايرانية لنظام الشكليات كان من غير المقبول أبدا أن يجلس طالب ومدرسوه متماثلين ، ولكن الشيء الذى لا يصدق مطلقا هو أن يتناول طالب جامعة ايراني ومدرساه والخادم طعامهم معا على نفس الطاولة .

حتى أنا كأجنبية أحسست بذلك ، ومع ذلك فان أمير وكما هو دائما كان قادرا على أن يجعلنا ننزل عند رغبته حتى لمجرد ابداء اقتراحه ، فقد أعلن أن نظاما اجتماعيا جديدا هو على وشك الولادة في ايران ،ولشقته بتأثيره علينا كان قد قرر أن يدشنه في منزلنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شعرنا أنا وجيرد بالغرابة . فقد اندفع عزيز بعيدا عن الطاولة وأمير يحاول أن يتحدث معه قبل أن يقدم الشاى .لا أعرف حتى فيما اذا كان أمير قد لاحظ كم كان عزيز متضايقا .

دخلنا مرة أخرى في علاقة نمطية مع أمير . فغالبا ماكان يقوم بزيارة قصيرة الى منزلنا عند المساء وفي نهاية الأسبوع . وثانية كنا نجلس نحن الثلاثة لساعات ونتحدث . ولكن الامور كانت قد تغيرت نوعا ما ، ليس مع أمير ، بل معنا فبعدما يقارب ثلاثة أشهر من وجودنا في ايران كنا قد أصبحنا أقل بساطة وأكثر تشككا . ولم نكن متفائلين جدا حول توقعاتنا في خلق أصدقاء جدد لنا . وكنا قد بدأنا نعير انتباهنا أكثر للفروق الدقيقة لما نقوله نحن للناس الآخرين وما يقولونه هم لنا . مع ان امير ذاته لم يتغير وكان احد اصدقائنا الاولين والوحيدين . كانت انكليزيته قد وهنت قليلا في طهران ، ولكنها قويت حالا بتأثير المحادثات . لم يعلمني الكردية ابدا على الرغم من أن هذا كان السبب الأصلي للقائنا كنا ثلاثتنا احيانا نتحادث بالفارسية ، ولكننا كنا ندرك أن اميرا قليل الصبر مع جهودنا . وقد اتهمه جيرد مرة بعدم رغبته بتعليمي الكردية ،فارتسمت على وجه امير تعابير الالم المميزة عنده ، حيث برزت شفته الى الامام واطالت عيناه التفكير . وبالطبع كان يعتزم تعليمي الكردية ولكن ، كان من المهم جدا له ان يتعلم الانكليزية . كل شيء سيأتي في وقته المناسب . ولشعورنا بألم اللوم في عينيه تراجعنا عما قلناه اضافة الى ذلك ، فثمة مسألة اخرى ، وهي زيارة مدينة امير بوكان . متى سيأخذنا اليها ؟ لقد انتظرناه طويلا ببساطة لكي يقترح علينا وقتا مناسبا لذلك . ومن ثم وبعد عودته من طهران اثرنا الموضوع نحن بأنفسنا . ولكن امير كان يؤجل ذلك دائما . الآن ليس الوقت المناسب . ستكون الجبال مغطاة بالثلوج ولكن اميرا اخذ الحافلة هو نفسه الى هناك مرة اومرتين ، وكان طلاب آخرون من بوكان يذهبون الى بلدهم بين الفنية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاخرى . لماذا لانقدر على الذهاب الى هناك نحن ايضا ؟ ولماذا فقد امير اهتمامه بالذهاب معنا الى مهاباد؟ فقد كنا قد اخبرناه عما حدث لنا مع الجعفريين وعن رغبتنا في الذهاب ثانية برفقة كردي ، ولكن امير اوضح لنا بأسلوبه المراوغ بأنه لن يأخذنا أبدا. وبعد عدة اسابيع اعلن امير أن والده سياتي في زيارة الى ريزاي . وعندما رأى الاهتمام على وجهي ، اضاف مباشرة :

ـ اريده ان يلتقي بك . لقد اخبرته كل شيء عن مدرسي، كاك جيرد ودادا مارغريت .

واخيرا رُتب الامر على أن اميرا سيعد لنا طبخة ايرانيه في منزله واننا سنذهب لتناول الغذاء مع والده . وفي اليوم الذي دعانا فيه امير وصل الى دارنا قبل الوقت بثلاث ساعات ، فسألته محدقة في أسفل الدرج لأرى فيما اذا كان احد ماواقفا هناك :

ـ ماذا فعلت مع ابيك ؟

فقال آمير :

ـ اوه ، لقد ذهب الى البيت ثوا .

ـ ولكن ماذا عن الغذاء الذي كنت ستعده ؟

ـ اوه الطعام،هل هو مهم لك ؟ سأعده هنا في منزلك .

نظرت الى أمير ببرود .ماالذي كان يشغله ؟ بالتأكيد لقد ادرك انني ماكنت اهتم به هو مقابلة والده وليس تناول الطعام . فسأله جيرد :

ـ ما الامر ؟ الا تريد ان نأتي الى مسكنك .

ـ حسنا . انه ليس مكاناً لطيفا ، ليس لطيفا بالقدر الذي يليق بمدرسيّ .

لم يمكث امير طويلا ذلك اليوم ، بعد ان شعر وبدون شك بالاسئلة التي تجول في فكرنا . فجأة بدأت المراوغات حول تعليمي الكردية وزيارة مدينته ، وكل الاسئلة غير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجابة عن والده ، من يكون وماذا يعمل ؟ حتى الاسلوب الذي كان يتبعه امير في تجنبه اخبارنا اين يسكن ، كل ذلك بدأ يظهر الى الوجود ويشغل حيزا من تفكيرنا . لم يكن قد قام بأي اجراءات لتعليمي الكردية . والآن كان قد عرض علينا ان يقدمنا الى والده وبعدئذ وبدون أي توضيح سحب الدعوة . سألت جيرد :

ـ لماذا تظن إنه لايرغب في ان نرى والده ؟

فأجابني :

ـ لاأظن ابدا ان والده قد اتى الى ريزاي .

ـ اذا لماذا اخبرنا انه قد جاء ولماذا اصر على دعوتنا ؟

فأشار جيرد :

ـ لقد دعينا الى اماكن عديدة قبل هذا ولم يكن الناس يعنون اخذنا فعليا .

ذلك صحيح . فالشكليات كانت ترفع رأسها المنافق في كل مرة كنا نقدم فيها دعوة او نتلقاها . لقد كنا قد توصلنا الى النقطة التي لن نسمح فيها لأنفسنا بأن نظهر لهفتنا لأي دعوة ، مهما تكن مغرية ولم نقدر ان نتأكد ابدا فيما اذا كان الناس الذين ندعوهم سيلبون الدعوة أم لا . كان موقفنا هو الانتظار ومشاهدة ماسيجري عندما كانت الساعة المحددة تقترب . كان امير على الاقل يأتي دائما الى منزلنا عندما كان يقول انه سياتي وكان ذلك ، قياسا مع الناس الآخرين ، أفضل بكثير بما فيهم الجعفريين . كان الجعفريون يفضلون ان يكونوا الى جانب تقديم الدعوات اكثر من أن يكونوا الى جانب هدف تلقي حسن الوفادة من جانبنا . اما امير فقد بدا على العكس من ذلك .

ان سلوك امير الغامض نزع اعترافا من جيرد . فقد اخبرني ان الكآبة والحزن كانا قد أخذا من نفسه موقعا في الفترة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاخيرة ، لأن واحدا من تلامذته المفضلين في الكلية ، وهو زميل لأمير ، كان قد اخبر جيرد بأنه سيعلمه الكتابة المسمارية وبعدئذ وبعد ان أخذ درسا ممتعا رفض الطالب أن يلتقي معه ثانية . والسبب في ذلك هو أنه سيفقد كل اصدقائه اذا شوهد يتسكع مع مدرس امريكي . وقد اقر جيرد احتمال ان امير قد شعر بنفس الشيء . وبعد ان فكرنا قليلا تذكرنا انه على الرغم من عروضه فان امير كان قد تجول معنا في الطريق فقط لعدة مرات في بداية علاقتنا . ومنذ ذلك الحين كان ينكث بعهده اويتجنب كل الدعوات والعروض لروءيتنا في أي مكان سوى داخل منزلنا وعادة في الليل .

لم يقم أمير بزيارتنا لمدة اسبوع تقريبا وبعدئذ ظهر فجأة في احدى الامسيات في الساعة التاسعة ، فسأله جيرد بفظاظة :

ـ أين كنت ؟

لقد كنت مشغولا جدا بالبحث عن مسكن جديد ، عن مكان افضل بحيث يكون مناسبا اكثر لدعوتكما الى الغداء .

فقال جيرد :

ـ هاه ..

بدا امير متضايقا من ذلك . وتابع جيرد قائلا :

ـ انت لاتريدنا أن نأتي الى منزلك لتناول الغداء أو بالاحرى ، لماذا تتردد علينا ؟ هل أنت من السافاك ؟

شحب وجهه أخيرا ،ولم يتفوه أحد منا بكلمة لمدة دقيقة فشعرت بقوة خارجية تحثني على تغيير الموضوع ، كيف وصلنا الى هذه الدرجة من عدم الثقة ؟ . ماذا جرى لكل ذلك الحب والدفء ؟

حدقت في امير الذى لم يقل شيئا يدافع به عن نفسه أو شيئا يعيد الطمأنينه الينا . فتركت جيرد يواصل ذلك .

ـ لماذا دعوتنا لمقابلة والدك بينما لم يكن هنا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أنا اسف جدا لذلك ، فقد كان عليه ان يعود فجأة الى البيت . ولاكون صادقا معكم فأنا ووالدي لسنا على مايرام في علاقتنا معا لقد تخاصمنا فقرر المغادرة . فقال جيرد :

ـ لا أصدقك .

اخفض أمير نظره الى الاسفل وقال ببساطة :

ـ لا اصدقك هي عبارة قاسية اينما كانت .

في ايران حيث يلوث الكذب عجلات التفاعل الاجتماعي على نحو روتيني يكون السؤال الصريح عن صحة اقوال احد ما شيء غير وارد ابدا .

التمع في ذهني تصور كان يفكر فيه امير فقلت :

ـ لا أظن أن امير يصدق مانقوله نحن أيضا .

فسأله جيرد .

ـ هل هذا صحيح .

ـ انت لاتصدق اني فعلا قد اتيت الى ايران لاكتب رساله الدكتوراه عن الكردية اليس كذلك يا أمير ؟

نظر الينا امير وقال وهو مفعم بالامل تقريبا :

ـ حسنا انت مغيرة جدا لتحصلي على شهادة الدكتوراه .

ـ لقد اخبرتك ان عمري خمسة وعشرون عاما .

فقال أمير بثقة :

ـ عمرك لم يبلغ خمسة وعشرين عاما . فلا أحد من الطلاب يصدق انك في سن الخامسة والعشرين تبدين أصغر بكثير .

فسألته بالحاح :

ـ ولماذا اكذب ؟ ولماذا اتظاهر بأني أكبر مما أنا عليه ؟ رفض أمير ان يجيب على سؤالي او حتى أن ينظر الي .

ـ انت لاتصدق اني ادرس الكردية أيضا اليس كذلك ؟ .